الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في التحليل اللغوي

بقلم الدكتور: **فتحي بحة**

أستاذ اللسانيات وتعليمية اللغات بجامعة الوادي.

محاضرات معدة لطلبة السنة الأولى ماستر لسانيات عامة

الموسم الجامعي: **2019-2020**.

المحتويات:

المحاضرة الأولى: التخطيط اللغوي نشأته وتطبيقاته.

المحاضرة الثانية: إصلاح متن اللغة.

المحاضرة الثالثة: إصلاح منزلة اللغة.

المحاضرة الرابعة: اللغة الحاصرة (القطب الحاصر).

المحاضرة الخامسة: اللغة الناشرة (القطب الناشر).

المحاضرة السادسة: اللغة والبيئة.

المحاضرة السابعة: اللغة والإثنية أو العرق.

المحاضرة الثامنة. الصراع اللغوي.

المحاضرة التاسعة: موت اللغات.

المحاضرة العاشرة: الأسواق اللغوية.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة الأولى: التخطيط اللغوي نشأته وتطبيقاته.

أولا– التخطيط اللغوي:

1– التعريف اللغوي: في المعجم الوسيط:" خط الوجه صار فيه خطوط...يقال فلان يخط الأرض إذا كان يفكر في أمر ويدبره، وخط الكتاب سطره وكتبه...والخط: السطر... والتخطيط: فكرة مثبتة بالرسم أو الكتابة في حالة الخط تدل على ما يقصد بالصورة أو الرسم ..."

2– التعريف الاصطلاحي:

"**هوجن**" (E.Haogen):"أفهم بكلمة التخطيط، النشاط الذي يقوم به بتحضير إملاء وقواعد ومعاجم نموذجية لتوجيه الكتاب والمتكلمين في مجتمع لغوي غير متماسك...فالتخطيط يستتبع محاولة توجيه تطور اللغة في الاتجاه الذي يرغب فيه المخططون".

"**كوبر**" بأن التخطيط اللغوي هو:"السلوك المتعمد الهادف إلى التأثير على سلوك الأخريين فيما يخصص اكتسابهم للغة ويخص بنيتها وتحديد وظائفها".

3– التعريف الاصطلاحي للسياسة اللغوية:

يحدد"**بيار إتيان لابورت**"(Pier Itian Labatt):" السياسة اللغوية ببوصفها الإطار القانوني والتهيئة اللغوية كمجموع الأعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة ما للغة أو لعدة اللغات".

ويحددها"**المصطفى تاج الدين**" بقوله:"السياسة اللغوية هي نوع من التعامل الرسمي لأجهزة الدولة مع اللغة الرسمية واللغات المستعملة داخل دولة معينة، كما أن السياسة اللغوية تعني سن القوانين التشريعية التي تخطط لتهيئة لغوية، ويكون ذلك واضحا بنصوص قانونية تحدد للغة مواقع استخدامها".

ثانيا– أهمية التخطيط اللغوي وأهدافه.

– ملاءمة اللغة كوسيلة تعبير للشعب الذي يستعملها.

– تطوير قدرة اللغة على أن تكون أداة الإبداع الفكري والعلمي.

– معالجة عدم القدرة على التفاهم بين المجتمعات اللغوية المتنوعة ضمن الدولة الواحدة.

– اختيار لغة التعليم – ترجمة الأعمال الأدبية – اعتماد اللغة المناسبة للتبادل العلمي.

– الاهتمام بفك القيود الموضوعة على الاستعمال اللغوي في بعض المجتمعات.

– دراسة التنافس بين اللهجات والارتقاء بلهجة إلى مرتبة اللغة الرسمية.

– الحفاظ على التوازن بين مصلحة الدولة ومصلحة الأفراد في المجال اللغوي.

ثالثا– نشأة التخطيط اللغوي وتاريخه.

بدأ ظهور هذا المجال بشكل رسمي أكاديمي مؤسسي في العصر الحديث في مناسبات عدة كان أولها في محاضرة بعنوان:"الهندسة اللغوية، لعالم أمريكي يدعى (**يوريل فيندرا**) عام 1957" بجامعة كولومبيا، ثم أدخل العالم "فاينرش" مصطلح التخطيط اللغوي لأدبيات علم الاجتماع اللغوي من خلال كتابات الأمريكي "هوجن" في (1959) والمتخصص في اللسانيات الاجتماعية، في مقالة خصصت للوضع اللغوي النرويجي، وفي عام (1960)، وكان موضوع تطوير اللغة وحل مشكلاتها أحد الموضوعات الرئيسة في مؤتمر (Airlie House، 1966) والذي عقد بفرجينيا، ثم تتالت المؤتمرات المشابهة منها: المؤتمر الذي عقد عام (1968) عن مشاكل اللغة في الدول النامية، والمؤتمر الذي عقد عام (1971) بعنوان هل يمكن أن يخطط للغة؟

رابعا– مجالات التخطيط اللغوي.

1– التخطيط اللغوي والتعليم: 2– التخطيط اللغوي والإعلام: 3– التخطيط اللغوي والاقتصاد:

4– التخطيط اللغوي والسياسة: 5– التخطيط اللغوي والقانون:

خامسا– من الذي يخطط؟ وما الذي يخطط له؟ ومن أجل من نخطط اللغة؟

لا يقتصر دور التخطيط اللغوي على الدور الذي تقوم به أجهزة الدولة، أو الدور الذي تقوم به المجامع أو المنظمات التي لديها تخويل عام بتنظيم اللغة فحسب، بل قد يتعداه إلى دور أولئك الأشخاص أو الجمعيات التي تنادي برفع التحيز بين الفئات أو الطبقات الاجتماعية، كما لا نستثني الجهود الفردية من أجل إحياء اللغة وتطويرها.

أما عن السؤال المتعلق بالجوانب التي يعنى بها المخططون من التخطيط، فالظاهر أن السلوك اللغوي في عمومه محل اهتمام، وقد ميز "**كلاوس**" بين مستويين من التخطيط اللغوي هما:

– مستوى رسم السياسة اللغوية: ويشمل الاعتراف بالحقوق اللغوية للأقليات العرقية، والاعتراف بأهمية لغة ما إلى جانب اللغات الأخرى في المجتمع، ويمكن أن يشمل تخصيص ضرب من اللغات لأداء وظائف محددة في التعليم والإعلام...وهلم جرا.

– ومستوى تنفيذها: ويشمل صك المصطلحات الجديدة، وإصلاح نظام التهجئة، وتبني أبجدية جديدة لرسم الكلمات.

أما عن سؤال من أجل من نخطط اللغة؟ فهو يشير إلى مجموعة الأفراد أو المؤسسات أو الهيئات التي سيتأثر سلوكهم نتيجة لهذا التخطيط، هو أمر يتوقف فيما إذا كان التخطيط عالميا من نحو: استبدال الكنيسة الكاثوليكية للغة اللاتينية باللهجات المحلية لإدارة الكنائس في جميع أنحاء العالم، أو الجهود التي بذلت لابتكار لغة عالمية "**الاسبيرانتو**"(Esperanto)، وكذا جهود توحيد المصطلحات الفنية عالميا التي تبذلها المنظمات المختصة بالتجارة وغيرها...، وقد يكون التخطيط قوميا محليا أو فرديا شخصيا محدودا من نحو: المجموعات الصغيرة والمدارس والفصول الدراسية ومجموعة الجيران والجمعيات الريفية...والروابط المهنية والحرفية والتجمعات الدينية وهي بالعادة أنشطة غير معلنة.

سادسا– أنواع التخطيط اللغوي.

يتوقف تنوع التخطيط اللغوي على نوع التغيرات المستهدفة وطبيعتها، وعليه فهناك أربعة أضرب من التخطيط اللغوي.

1– تخطيط الوضعية(المنزلة)(Status planning): وهو نشاط يهدف إلى تغيير نوعية وكيفية استعمال اللغة ووظائفها، أو إحدى تنويعاتها (اللهجات) داخل المجتمع، وقد تمنح لها صفة رسمية أو ثانوية، أو استخدام اللغة الرسمية أو لغات/ لغة ثانية، أو التحول من استخدام لغة إلى لغة أخرى، وهو بالعادة جهد قائم على عاتق المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية والأفراد المهتمين بالتخطيط اللغوي.

2- تخطيط الهيكل(تخطيط المتن)(Corpus planning): وهو نشاط يستهدف بنية اللغة ذاتها، وهو بالعادة جهد قائم على عاتق المتخصصين باللغة، ويتبدى في الترقية اللغوية والتقنية اللغوية، ويظهر في جملة الإجراءات والتعديلات التي تستهدف القواعد الإملائية والنحوية أو كيفيات النطق أو في المفردات، نحو ترجمة المصطلحات أو توحيدها أو توليدها وابتكارها أو في مجال الكتابة والرسم...وهلم جرا.

3- تخطيط الاكتساب(Acquisition planning): ويقصد به تلك الجهود المنظمة لنشر اللغة من خلال النظام التعليمي كما يشير إلى ذلك العالم "كوبر"، ويهدف هذا النوع من التخطيط إلى زيادة عدد المتحدثين بلغة ما، من خلال تعزيز مكانتها في النظام التعليمي(تعلم أو تعليم).

4- تخطيط المكانة اللغوية(Prestige planning):وهو ضرب من ضروب التخطيط غير مشهور ولم يلق اهتماما كبيرا من قبل الباحثين، وتبدو حدوده غير واضحة المعالم، وبالإجمال فهذا النوع من التخطيط يستهدف الصورة النمطية (المثالية) للغة في أذهان الأفراد، وكيفية تصحيحها وتغييرها بما يخدم واقع اللغة ومستقبلها.

سابعا– آليات التخطيط اللغوي ومرحله.

يرى "**أيمن الطيب**" أن التخطيط اللغوي يمر عادة بمراحل عدة تختلف بحب المشكلة اللغوية التي يراد معالجتها والتخطيط لها ويوجزها الخطوات في الآتية:

- الإرادة والرغبة في التدخل في شأن من شؤون اللغة من قبل المسؤولين.
- تحديد المشكل اللغوي الذي تعاني منه الدولة من قبل المختصين.
- تحديد البلد المخطط له ومعرفته معرفة جيد فيما إذا كان به تنوع لغوي.
- وضع سياسة لغوية واضحة من القوانين وإجراءات قابلة للتطبيق، وقادرة على علاج المشكلة.
- وضع لكل حسابات خاصة للمتغيرات الاجتماعية أثناء عملية التخطيط.
- إسناد المهمة للجان مختصة وقادرة وذات خبرة كافية في المجال.
- التقويم المستمر للمجهودات المبذولة من قبل المسؤولين والمهتمين.

ويوجز "**روبن**"(Ropen) خطوات التخطيط في الأربع نقاط الآتية:

1- تقصي الحقائق: وذلك بجمع كم وافر من المعلومات عن الموضوع قبل اتخاذ قرار التخطيط، فمن معايب التخطيط أن تكون البيانات غير دقيقة أو من مصادر غير موثوق فيها.

2- التخطيط: فتحدد حينها الأهداف وتختار الوسائل والآليات، ويتنبأ بالنتائج، فتتفق الهيئات اللغوية على أهداف موحدة، باتخاذ قرار سياسي ملزم يستند وينبع من اللغويين أنفسهم، قبل اتخاذ أية إجراءات سياسية أو اجتماعية أو تعليمية.

3- التنفيذ: يشرع في تنفيذ قرار التخطيط عمليا، ويغدو التخطيط عملا واقعيا مطبقا في الميادين.

4-ردود الأفعال:من خلال عملية التقويم يكتشف المخطط مدى نجاح تنفيذ الخطة من فشلها.

ثامنا– أدوات التخطيط اللغوي.

1– تجهيز اللغات: يفهم من معنى كلمة (التجهيز) التحضير والإعداد عموما، وقد استعملت اللفظة في مجال اللغة من قبيل الاستعارة، ويقصد بها التهيئة والإعداد وقد تشمل معنى الترقية والتطوير، والمقصود هنا إعداد الأرضية والأدوات المناسبة التي سيسير عليها التخطيط اللغوي، وتشمل مجالات الخط والإملاء والرسم الكتابي، ومجال المصطلحات والمعجم، ومجال المتن اللغوي، وكل هذا يعتمد بالعادة على العمل الميداني والتحريات اللغوية (المشافهة)، وهي جزء مهم من التخطيط اللغوي نفسه، وهي تشمل ثلاثة قضايا أساسية:

أ- الكتابة والإملاء: ب- المصطلحات والمعجم: ج- الوضع والتقييس:

2– المحيط اللغوي: ويمثل "كالفي" لهاته الخارطة اللغوية بمدينة "نيويورك" من خلال ما نقرأه على لافتات المحلات المكتوبة بـ(الانجليزية، الصينية، الايطالية، العربية...)، ومتابعة التغيرات الجارية على المحيط اللغوي، والأمر ذاته قد يصادفنا من خلال تتبع التغيرات اللغوية التي حصلت في مدينة "هونغ كونغ" بانتشار اللغة الصينية وانحصار اللغة الانجليزية تدريجيا.

3– القوانين اللغوية: ماذا يفهم من هذا المعنى؟ إن الحقيقة التي يجب أن يدركها المخططون للغات هي أن عملهم هذا لا يمكن أن يكون وظيفيا وعمليا ما لم تحظر له سلفا قائمة طويلة من القوانين التي تضمن تطبيقه في الواقع، ومن

هنا جاءت هذه التسمية، إن العمل المخبري مهما كانت دقيقا وعلميا يبقى مجرد أفكار ما لم يجسد في أرض الواقع بحماية قانونية وسنن وتشريعات تفرضها الدولة على مواطنيها أو المؤسسات على مرتاديها.

وفي هذا يجب التمييز بين عدة تصورات للقوانين:

أ- قوانين تعنى بصيغة اللغة وشكلها، فتحدد مثلا الكتابة وقواعدها، وتركيبات اللغة ونواميسها،أو المفردات واستعمالاتها من خلال قوائم للكلمات أو المعاجم المتخصصة.

ب- قوانين تعنى باستعمال الناس للغات، كأن تشير إلى اللغة التي يجب التحدث بها في هذا المقام أو ذاك، وكأن تحدد اللغة الوطنية للبلد، أو لغات العمل في مؤسسة أو منظمة ما كاللغات المستعملة في هيئة الأمم المتحدة أو اللغات المستعملة في مجلة علمية أو ملتقى علمي أو مجال بحثي ما، أو لغات التعليم في البلد.

ج- القوانين التي تعنى بالدفاع عن اللغات، سواء تعلق الأمر بإرادة ترقيتها ترقية أكبر كي تكون لغة عالمية، أو بإرادة حمايتها والحفاظ عليها.

.....مراجع المحاضرة الأولى.....

1- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط.

2- ميشال زكريا: قضايا ألسنية عربية.

3- روبيرت ل كوبر: التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي.

4- لويس جان كالفي السياسات اللغوية.

5- معافي خيرة: اللغة العربية وسؤال التخطيط في الجزائر.

6- أيمن الطيب، التخطيط والسياسة اللغوية.

7- محمود بن عبد الله المحمود، تخطيط المتن اللغوي في اللغة التركية (استقراء تاريخي).

8- مصطفى عوض بني ذياب، التخطيط اللغوي والتعريب.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة الثانية: إصلاح متن اللغة.

أولا– ماهية تخطيط المتن اللغوي أو الذخيرة اللغوية (Corpus planning).

هو نوع من التخطيط يتعلق بـ"التغيرات داخل البنية اللغوية والذخيرة اللغوية"، وهو أيضا:"التدخلات في صيغة أو صورة اللغة، ويمكن أن تنشد غايات مختلفة: وضع كتابة ما، إثراء المعجم، مكافحة التأثيرات الأجنبية (التطهير)، التقييس".

وهو أيضا: نشاط يستهدف بنية اللغة ذاتها، وهو بالعادة جهد قائم على عاتق المتخصصين باللغة، ويتبدى في الترقية اللغوية والتنقية اللغوية، ويظهر في جملة الإجراءات والتعديلات التي تستهدف القواعد الإملائية والنحوية أو كيفيات النطق أو في المفردات، نحو ترجمة المصطلحات أو توحيدها أو توليدها وابتكارها أو في مجال الكتابة والرسم...وهلم جرا.

وهو فيما يبدو متعلقا أساسا بما يقوم به المتخصصون واللغويون من جهود في سبيل إصلاح جوانب محددة من اللغة، وقد أورد الباحثون في هذا المجال أمثلة لتخطيط المتن اللغوي أو الذخيرة اللغوية على نحو: تخطيط النظام الكتابي، والإملائي للغة وإصلاحه، وإثراء ذخيرة اللغة من المفردات والتغييرات في البنية التركيبية للغة، وتقييس (اختيار) النظام الكتابي، وتخطيط المصطلحات وضبطها، والتطوير الصرفي للغة بإحداث صيغ جديدة، أو تعديل بعض الصيغ القائمة، بما يسد الحاجات اللغوية.

ثانيا– أهداف تخطيط المتن اللغوي أو الذخيرة.

1- التنقية اللغوية: وتهدف للحفاظ على اللغة من الشوائب والدخيل والانحراف، وتتخذ في ذلك طريقتين: خارجية بحماية اللغة من المؤثرات الخارجية، وداخلية كتصحيح الأخطاء والتدقيقات اللغوية للمواد الإعلامية والكتابات المنشورة.

2- الإصلاح اللغوي: ويقصد به إصلاح بعض جوانب اللغة لتصبح أيسر استخداما كالجوانب الكتابية والتهجئة والقواعد اللغوية.

3- تحديث المفردات: وهي عملية استحداث المفردات أو تكييفها بما يتناسب مع الأوضاع الجديدة والمفاهيم الجديدة.

4- توحيد المصطلحات: أي توحيد المصطلحات العلمية وتوضيحها والتعريف بها.

5- التبسيط الأسلوبي:والمقصد الجهود المبذولة في سبيل توضيح آليات الاستخدام المعجمي والتركيبي والأسلوبي للغة وتيسيرها لحل مشكلات التواصل والتداخل بين العلوم.

6- الاتصال بين لغتين: ويقصد به الجهود المبذولة للتقريب ببين الناطقين بلغات مختلفة من خلال لغة ثالثة وسيطة كاستخدام اللغة الانجليزية حاليا في أغلب دول العالم.

7- تقييس المصطلحات المساعدة: وهي إشارة إلى الجهود المبذولة لوضع معايير وضوابط للصياغة الرموز المصطلحات المساعدة وتكييفها، ككتابة أسماء الأماكن، واللوحات الإرشادية للصم البكم، وترجمة الأسماء...

ثالثا– التدخل في اللغة من صميم تخطيط المتن اللغوي.

يورد الباحث الفرنسي "**لويس جان كالفي**"من خلال كتابه "**السياسات اللغوية**"نماذج مختلفة لتدخلات الإنسان على مستوى متن اللغة لتحقيق غايات محددة أوردناها سلفا ومثال ذلك ما وقع ببلاد الصين التي تنتشر فيها ما لا يربو عن ست مائة (600) لغية أو للهجة محلية بين الشمال والجنوب، معنى هذا أن البلد من الناحية النظرية أبعد ما يكون عن التوحد من الناحية اللغوية على الرغم من الشكل الكتابي يكاد يكون موحدا بين لغات كثيرة منها، بيد أنهم لا ينطقون الحروف بالشاكلة نفسها، ولغة المشافهة خلاف لغة الإدارة والوظيفة، ولغة الكتابة المقيسة خلاف هؤلاء جميعا، بل هي لغة الأدب الشعبي والمسرح.

وفي 1949 دعا الطلبة والمثقفون الكتاب إلى تعويض هاته الصيغة المكتوبة للغة الصينية القديمة بصيغة جديدة هي أقرب للغة المنطوقة حينها ولتقترب من لغة الإدارة الأكثر انتشارا، وبعد الثورة الشيوعية عام 1949 طرح مشكل تقييس لغة التوحيد هذه (اللغة المشتركة) التي تحددت في 1956 بنطقها (نطق بيكين)، ومعجمها (معجم لهجات الشمال)، وتراكيبها (تركيب الأدب المدون)، وهكذا حصلت تدخلات متنوعة في صورة هاته اللغة قصد تيسير هاته اللغة على الناطقين وللمتعلمين ولا تزال الجهود تتواصل ليوم الناس هذا.

أما في فرنسا فقد شهدت تدخلا لغويا على مستوى معجم هاته اللغة وإملائها، فبين عامي (1973 و 1993) صدرت عن النيابة العامة نصوص تشريعية وقوانين تهدف بالأساس إلى تبني جملة من الإصلاحات اللغوية على مستوى الوزارات المختلفة، وذلك بإنشاء لجان المصطلحات كل في مجال تخصصه، فوضعت الألفاظ المناسبة، ثم

تلته بإصدار 48 مرسوما تخصص مختلف المجالات المعرفية جمعت نهاية المطاف في شاكلة قاموس أسمته "**قاموس الألفاظ الرسمية للغة الفرنسية**".

أما بخصوص الإملاء فالفرنسيون عادة كثيرو الشكوى من صعوبة إملائهم وتناقضاته، بيد أنهم حريصون كل الحرص على عدم المساس به، لذا كان تدخل الدولة في هذا الصدد حذرا جدا كما حدث في تدخل عام 1901 فيما يتعلق بتبسيط تدريس تراكيب اللغة الفرنسية، وقد شمل هذا التبسيط تساهلا في القواعد الإملائية فحسب، والتجاوز عن بعض الأخطاء الإملائية مع أولئك الذين يسرفون فيها في المسابقات الرسمية، وبعد سنوات طول تمت الموافقة على تعديل عدد من الكلمات بما يتوافق مع مبادئ الانسجام الداخلي للغة.

ومن التجارب الرائدة في هذا الصدد ما قامت به هيئة اليونسكو في بعض الدول الإفريقية، حيث جمعت عام 1966 ببماكو المالية 35 خبيرا في اللسانيات ومحو الأمية جاءوا من خمس بلدان أوروبية وتسع بلدان أفريقية لوضع نظام تدوين للغات أفريقيا الغربية توحيده، وقد عد هذا العمل الجبار عملا مميزا رغم ما اعتراه من مشكلات وعوائق فنية وتقنية.

أما في فلسطين فعندما بدت الحاجة إلى استعمال مفردات للتعبير عن مناشط الحياة اليومية قرر مجلس اللغة العبرية بداية استعمال مفردات عبرية قديمة، وإذا لم تتوفر المفردة المناسبة استعيض عنها بمفردة من اللغة الآرامية القديمة، وقرر المجلس إذا لم تتوفر كلمات عبرية أو آرامية فيمكن استعمال كلمات من لغات سامية أخرى نحو العربية.

وفي ايرلندا وبعد الانتقادات والتعيير الذي تعرض له نظام التهجئة القديم ظهر نظام تهجئة جديد للغة الايرلندية منذ القرن السادس عشر واستمر العمل به حتى بداية القرن العشرين، حيث بدأ التخلي عن نظام التهجئة الكلاسيكي عندما بدا الكتاب باستعمال لغة أدبية تعكس اللغة التي يستعملها الجمهور.

إن كل ما أوردناه يعد تجارب مميزة في سبيل إصلاح متن اللغة سواء تعلق الأمر بطريقة نطقها أو بكيفيات تركيبها وتيسير أساليبها أو تعلق بتطوير بجوانبها المعجمية والمصطلحية أو إذا ما تعلق الأمر بإصلاح جوانب الرسم فيها والكتابة، كل ذلك يدخل ضمن دائرة البحث عن تحسين متن اللغة وتجويده كيما يواكب حركية التطور العلمي والمعرفي، وكيما يتوافق مع حاجات الناس المتنامية.

مراجع المحاضرة.

1- محمود بن عبد الله المحمود، تخطيط المتن اللغوي في اللغة التركية (استقراء تاريخي).
2-لويس جان كالفي، السياسات اللغوية.
3-أيمن الطيب، التخطيط والسياسة اللغوية.
4-روبيرت لي كوبر، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي.
5-عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا.
6-زهرة بن أعراب، مجلة اللغة الأم.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة الثالثة: إصلاح منزلة اللغة.

أولا– ماهية تخطيط المنزلة (الوضعية) (Status planning).

يحدد تخطيط المنزلة أو الوضعية اللغوية على أنه :"تخطيط يتعلق بالتدخلات حول وظائف اللغة ومنزلتها الاجتماعية وعلاقاتها ببقية اللغات الأخرى".

وهو أيضا نشاط يهدف إلى تغيير نوعية وكيفية استعمال اللغة ووظائفها، أو إحدى تنويعاتها (اللهجات) داخل المجتمع، وقد تمنح لها صفة رسمية أو ثانوية، أو استخدام اللغة الرسمية أو لغات/ لغة ثانية، أو التحول من استخدام لغة إلى لغة أخرى، وهو بالعادة جهد قائم على عاتق المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية والأفراد المهتمين بالتخطيط اللغوي.

ويشير هذا النوع من التخطيط إلى:"جهود السلطات الرسمية نحو تخطيط إقرار لغة ما في المجتمع، وكل ما يتعلق بهذا الإقرار من مقتضيات".

ففي الأوضاع الموسومة بالتعدد اللغوي بالعادة تجد كثير من الدول نفسها في أحايين كثيرة مجبرة على ترقية نمط معين من هاته اللغة المهيمن عليها أو تلك، و على العكس من ذلك قد تعمد إلى سحب منزلة بعينها من هاته اللغة أو تلك، وهي المنزلة أو المكانة التي ربما ظلت تحتفظ بها لسنوات طوال، أو السعي إلى احترام مبدأ التوازن بين جميع اللغات الموجودة في مجتمع ما بهدف تسيير منزلة اللغات المتعايشة ووظائفها.

واضح إذن فالأمر يتعلق بوضعية اللغات في المجتمعات والدور الذي تقوم به المؤسسات الحكومية في تغيير وضعية هاته اللغات بالرفع من شأنها وإعلاء مكانتها وإعطائها مساحة أكبر ضمن خارطة الاستعمال، واتخاذ الوسائل والسبل الموصلة لتلك الغاية، والعكس بالعكس فقد تعمد عدد من الدول للحط من قيمة لغة من اللغات بغرض محاصرتها وإضعافها أو القضاء عليها تماما كما كانت الدول الاستعمارية تفعل في مستعمراتها، وقد تكون الغاية سياسية أو علمية وذلك بغرض إحلال نوع من التوازن اللغوي في ظل وجود تعدد لغوي وعرقي في مجتمع من المجتمعات.

ثانيا– أهداف تخطيط المنزلة (الوضعية) اللغوية.

1- الإحياء اللغوي: وذلك بإحياء اللغات المهجورة أو الميتة، أو توسعة تلك اللغات المستعملة في نطاق ضيق من الناس لتصبح لغة دولة ما أو قوم معينين.

2- التقييس اللغوي: اختيار لغة ما أو لهجة ما لتكون اللغة الرسمية لبلد من البلدان أو لمقاطعة ما.

3- نشر اللغة: الجهود المبذولة لنشر لغة ما بزيادة عدد الناطقين بها في بلد من البلدان.

4- صيانة اللغة: وهو إشارة إلى الجهود المبذولة لصيانة اللغة الأم والحفاظ عليها من العوامل الداخلية والخارجية والتي قد تتسبب في انحسارها (سياسية واقتصادية وتربوية واجتماعية).

ثالثا- التدخل في اللغة من صميم تخطيط المنزلة (الوضعية) اللغوية.

إن الحديث عن تدخل الإنسان على مستوى منزلة اللغة حديث قديم قدم الإنسانية ذاتها، ويورد المؤرخون وعلماء اللغة أمثلة كثيرة لمثل هذه التدخلات، والحق أن الإنسان كان ولا يزال قادرا على التحكم في مصير اللغة وطرائق سيرها وتغييرها بحسب حاجاته وإحيائها أو القضاء عليها بقصد أو بغير قصد، فتطور اللغة مثلا وتشعبها إلى لهجات قد يكون ناتجا عن تطور طبيعي للغة، لكن هذا لا يعني هذا بحال من الأحوال ألا تدخل للإنسان في ذلك، إذ هو قادر على أن يوقف انشعاب اللغة إلى لهجات أو بالعكس فقد يسهم فيه بشكل كبير، فاللغة متى صادفتها دولة أو أمة ذات وحدة سياسية واستقلال تام ستعمل للحفاظ عليها، بل وترقيتها وتطويرها لتتمكن من البقاء على صورتها الأولى، ويورد الباحث "**كلود هجيج**"(Claude Hagege) عوامل ثلاثة تمنع انقسام اللغة إلى لهجات هي:"الحماية السياسية لها من حكومة مركزية، التخطيط والتعليم المبكر لها في المدارس، ومن المفيد ههنا عقد مقارنة بسيطة بين حقيقة اللغات واللهجات في قارتي أوروبا وأفريقيا ليتضح لك الأمر جليا بين قارة التنوعات اللهجية واللغوية، بالنظر إلى الضعف الاقتصادي وضعف السلطان السياسي وانحطاط مستوى التعليم فيها، وبين قارة شاسعة المساحة متعددة الشعوب، بيد أن عدد لهجاتها محدود جدا، فقد تقلص إلى حد كبير وقد ألغيت بعض اللهجات بشكل نهائي، واستتبع ذلك ازدهار كبير للغات المشتركة لاستفادتها من الدعم السياسي والثقافي وشيء من الحركية الاقتصادية.

ويوجز الباحث "**عبد الغفار حامد هلال**" في كتابه "**اللهجات العربية نشأة وتطورا**" المسالك والأسباب المؤدية إلى تحول اللهجات إلى لغات.

1- العامل العسكري السياسي: على نحو اللهجة التشيكية التي أضحت لغة رسمية بعد أن استقل هذا البلد عن روسيا.

2- العامل الديني: كاللهجة الحجازية التي أصبحت العربية الفصحى بفضل نزول القرآن الكريم بها.

3- العامل الأدبي: مثل لهجة فلورنسا التي أصبحت اللغة الايطالية، وما حدث ذلك إلا نتيجة لأن كتابا كدانتي اعتمدوها في مؤلفاتهم.

4- العامل الاجتماعي الطبقي: في القرن السابع عشر أصبحت لهجة فرنسا المثال الأدبي الرفيع الذي ينبغي على كل كاتب ناشئ أن يحتذيه لا لشيء فقط لأن هذه اللهجة هي لهجة الطبقة الراقية.

ويورد الباحث الفرنسي "**لويس جان كالفي**"من خلال كتابه "**السياسات اللغوية**"نماذج مختلفة لتدخلات الإنسان على مستوى اللغة في سبيل تغيير منزلتها أو (وضعيتها) من ذلك مثلا:

ما حدث بدولة "**تنزانيا**" من ترقية للغة للوصول إلى حالة لغوية مشركة موحدة، وقد كانت تنزانيا قد نالت استقلالها عام 1964 بتعداد سكاني وصل 25 مليون نسمة عام 1993، وبتعداد لغوي يقارب 120 لغة، ورغم هذا التعدد اللغوي فإن لغة واحدة فقط هي "**اللغة السواحلية**" التي أصبحت لغة وطنية عام 1969 ولها السلطة والغلبة بفضل السلطة السياسية، وعلى الرغم من أن الناطقين بها بوصفها لغة أم لم يكن يتجاوز المليون إلا أن الذين اكتسبوها كلغة ثانية ويستعملونها بكثرة يتجاوز العشرة ملايين، وعلى الرغم من أن تنزانيا ورثت عند استقلالها وضعا لغويا معقدا، إلا أن اللغة السواحلية والتي كانت اللغة المشتركة في الأرياف والأسواق والموانئ، قد أضحت ذات مكان مرموقة حينما اتخذها رجال السياسة أداة لمخاطبة الجماهير فأصبحت مع "**جوليوس نيريري**" (J.Niriri) الرئيس التنزاني (1962) رمزا للتحرر، وقد شرع في ترقيتها باستعمالها على أعلى المستويات كالحملات الانتخابية وجلسات البرلمان والمحاكم الابتدائية، وقد توسع استعمالها لتشمل الوظائف الرسمية إلى أن أضحت في نهاية المطاف اللغة الوطنية.

وتجربة أخرى في ترقية اللغة هي تجربة "**اندونيسيا**" المؤلفة من ثلاثة آلاف جزيرة بتعداد سكاني مقداره 188 مليونا، موزعين على جماعات إثنية ولغوية مختلفة، يتحدثون قرابة مائتي لغة مختلفة في 1928، وكان البلد مستعمرة هولندية حين أعلن الحزب الوطني الاندونيسي والذي كان يناضل من أجل الاستقلال، بأن اللغة الماليزية ستكون اللغة الوطنية للبلاد، ولم يكن لهذا للقرار أية فاعلية بل كان قرارا لغويا سياسيا مجردا من التخطيط.

وعندما استقلت اندونيسيا في منتصف الأربعينات أذن بتطبيق السياسة اللغوية بتبني الماليزية لغة وطنية، بيد أنها كانت في حاجة إلى تجهيز تام بدءا بتغيير اسمها إلى ضبط إملائها ووضع مفردات لها وقواعد لتلاءم الوضع الجديد، وهذا العمل طبعا يدخل ضمن الصنف الأول من التخطيط المذكور سلفا ألا وهو تخطيط المتن، ومن ها هنا يظهر التكامل بين اللونين من التخطيط.

ومثال آخر لهذا اللون من التخطيط اللغوي ما حدث في بلاد المغرب العربي والتي عمدت إلى استبدال لغة المستعمر الفرنسي باللغة العربية الفصحى، بيد أن الأمر لاقى مشكلات جمى على نحو التركات اللغوية الاستعمارية في المجتمع (اللغة الفرنسية)، واللهجات المحلية العامية، واللهجات الأمازيغية، ثم إن الأمر في هذه البلاد يتعلق بمبدأ التعريب لا بإعادة التعريب أو إعادة اللغة الأصلية إلى أهلها، فالوضع هنا يتعلق بتنمية اللغة العربية لتنهض كلغة ثقافة فتحل محل اللغة الفرنسية.

ففي "**المغرب**" ورغم العوائق إلا أن المجهودات والقرارات توالت لإحلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية، فبدءا من عام 1957 بدأ تعريب التعليم واستمر العمل بعدها لسنوات طوال، تلتها قرارات بتكوين الإداريين والموظفين، وإنشاء معاهد للبحث والدرس والتكوين، فتكاثرت أعداد التلاميذ وبدأ تعريب الوزارات.

ويبدو أن "**تونس**" هي البلد المغاربي الأقل تعقيدا في وضعها اللغوي، فالأمازيغية قد أفل شأنها منذ زمن بعيد ومساحة البلد صغيرة، ومع هذا فاللغة العربية المستعملة في المشافهة موحدة تقريبا، لذا بدأ في عام 1958 بإدخال العربية للسنتين الأوليين من التعليم الابتدائي، وفي السنة نفسها تقرر التدخل في المحيط اللغوي بتعريب لافتات المتاجر، واستمر التعريب ليشمل كل مناحي التعليم ومستوياته، لتعرب الإدارة فيما بعد.

أما في "**الجزائر**" فقد بدأ التعريب مباشرة غداة الاستقلال عام 1962 بإدخال اللغة العربية للمدارس الابتدائية، ومن ثم تواصل العمل بخطى حثيثة حتى إنشاء التعليم الأصلي المعرب تماما، وقد طال التعريب في سنوات

لاحقة جل مراحل التعليم العام، وفي عام 1968 تقرر في مرسوم وزاري تعريب الإدارة ومن بعده تم تعريب البرامج الإذاعية، واستمر الأمر ليوم الناس هذا.

كل هاته التدخلات على مستوى اللغة كما رأينا تهدف بالأساس إلى تحقيق غايات معينة على مستوى منزلة اللغة ووضعيتها الاجتماعية، إما بإعادة إحياء اللغة بعدد موتها، وإما باختيار لغة وطنية من بين لغات كثر، وإما بترقية لهجة من اللهجات لتصبح فيما بعد لغة وطنية وقومية.

مراجع المحاضرة.

1- محمود بن عبد الله المحمود، تخطيط المتن اللغوي في اللغة التركية (استقراء تاريخي).

2-لويس جان كالفي، السياسات اللغوية.

3-أيمن الطيب، التخطيط والسياسة اللغوية.

روبيرت لي كوبر، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي.

4-عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا.

5-زهرة بن أعراب، مجلة اللغة الأم.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة الرابعة: اللغة الحاصرة (القطب الحاصر).

أولا- **ماهية اللغة الحاصرة (القطب الحاصر).**

1- الحصر في اللغة:

جاء في القاموس المحيط:"الحَصْرُ كالضَرْبِ والنَّصْرُ: التضييق، والحبس عن السفر وغيره".

و في المعجم الوسيط: "حصر البعير: شده بالحصار، وفلانا: ضيق عليه وأحاط به، ويقال: حصره المرض أو الخوف منعه من المضي لأمره...و(الحصار) قيد الدابة والموضع الذي يحصر فيه الإنسان"

وتستعمل كلمة(**الحاصرة**) (Grégaire) في اللغة الفرنسية بمعنى القطيع وهي مأخوذة عن اللاتينية (Grex. Grégaris) فيقال:"غريزة قطيعية" تشبيها للناس في هذه الغريزة بقطيع الخراف.

2- في الاصطلاح:

يحدد "**لويس جان كالفي**" في كتابه "**حرب اللغات**" (اللغة الحاصرة)، أو لغة القطيع على سبيل الاستعارة هي: "لغة جماعة صغيرة من الناس تقصر التواصل على عدد محدود من البشر، ويتميز شكلها بإرادة الحد من انتشارها، كما هو الحال في الأشكال المشفرة، أو في لهجات الجماعات التي لها مفاتيح خاصة بها تواطؤوا عليها لإخفاء معانيها عن سائر الناس كلهجات لارغونجي (Largonji) وفيرلان (Verlan) وغيرهما، التي تهدف التغييرات في أشكالها إلى الحد من التواصل بها، وكما هو الحال في المستويات الاجتماعية وفي الأشكال اللغوية المرتبطة بهذا الجيل أو ذاك، وباللغات في هذه الأسرة أو تلك".

واضح من خلال التعريف أن اللغة الحاصرة هي لغة خاصة لجماعة خاصة قد تواضعوا عليها فيما بينهم، والخارج عن هذه الجماعة لا يمكن أن يفهم سننها وقوانينها ودلالاتها، ويبدو انه لكل فئة مهنية أو حرفية أو عمرية أو مناطقية لغة حاصرة تسمهم عن غيرهم لا يشاركهم فيها أحد.

ثانيا– اللغة الحاصرة مميز فردي ومميز اجتماعي:

من المفيد جدا أن ندرك أن التنوع اللغوي أمر طبيعي خاضع لتنوع الناس ومشاربهم وانتماءاتهم الجغرافية والمهنية والعمرية والمناطقية وغيرها، لذا سنجد في البلد الواحد لهجات عدة لا علاقة لها باللغة العامة السائدة في عموم البلاد على نحو ما هو موجود في الجزائر وفي فرنسا وفي عموم بلاد العالم، وإذا اسمينا لغة (**مجموعة الاستعمالات**) التي تمثل معجما محددا وتراكيب خاصة متداولة ونطقا خاصا بارزا، فإن اللغة بهذا المعنى ستختلف من شخص لآخر، ثم إن هاته اللغة الفردية يمكن تجزئتها إلى لغات وذلك لأننا لا نستعمل الكلمات نفسها في التراكيب حينما نكون في السوق أو مع جماعة من المثقفين أو في حوار تلفزيوني أو محاضرة علمية.

ويبدو أن تحديد حيز جغرافي للغات قد يكون نابعا من المفهوم الذي نعطيه للغة والمجال الذي ندرسه، أهو الفرد أم العائلة؟ أم جماعة من المثقفين أو الحرفيين؟ أم حيا أو مدينة وضواحيها أم ناحية من بلد؟

ويستعير الدكتور "**مصطفى حركات**" عن "**وليام لابوف**" مصطلح (التنوع اللغوي) للتعبير عن شكل من إشكال الحصر في اللغة والذي يعزوه للعوامل الآتية:

1– التنوع الزمني: وهو تنوع يخص اللغات التي تنتقل مع المزمن من وضع إلى وضع آخر مغاير(من لغة إلى أخرى، أو من لغة معروفة معترف بها إلى لهجات محلية أو لهجات متمايزة).

2– التنوع الجهوي والمناطقي: وهو خاص بالتنوعات اللغوية التي تبدو عند انتقالنا من مكان لمكان آخر، على نحو فرنسية فرنسا وفرنسية الكيبك، أو لهجة باريس ولهجة مرسيليا وليون، أو العاميات العربية المتعددة والمختلفة باختلاف المناطق، والتنوع لا ينسحب على البلدان فحسب بل يشمل أيضا المناطق الصغيرة والجهات والقرى البعيدة النائية والمحدودة.

3– التنوع الاجتماعي: وهو مرتبط بالأوضاع الاجتماعية للأفراد كلغة المثقفين، ولغة الشباب، ولغة، ولغة المسنين، لغة الدين والطقوس والعبادات، ولغة الحضر، ولغات البوادي، ولغات الحرف والمهن والوظائف المتنوعة.

4– التنوع حسب المقام: وهو مرتبط بالأوضاع التي يوجد فيها الأفراد عند التخاطب، فقد يكون في الشارع، أو داخل عائلته، أو مكان رسمي...وهلم جرا.

ومن الباحثين من يضيف تصنيفات أخراة مرتبطة بسن الناطقين وجنسهم، وذلك أن لغة الشبان تختلف عن لغة الكبار المخضرمين ، ولغة النساء ليست لغة الرجال.

5- العمل الجغرافي: من الممكن أن يكون العامل الجغرافي أقل أثرا إذا ما قورن بالعامل الزمني في حدوث التغيير اللغوي من وجهة نظر العالم السويسري "**فرديناند دي سوسير**" وغيره من الباحثين اللسانيين، إلا أن للعامل المكاني أثر لا يمكن أن ينكر في خلق اللهجات واللغيات الخاصة، فالانعزال والتقوقع اللغوي سيؤدي حتما مع مرور الزمن إلى تغييرات جذرية على مستوى اللغة، وهو أمر مشهود في كثير من دول العالم.

إن كل ما أوردناه من كلام يمكن وسمه بالسمة الحاصرة من اللغة لأن كلا من هذه المحددات الواردة سلفا سيضفي ملمحا وخصوصية على اللغة، وكلما زادت الخصوصيات والمحددات كلما مالت اللغة إلى الانحصار والانعزال والخصوصية وغدت شفراتها أكثر تعقيدا.

ويؤكد الباحثون في علم اللغة الاجتماعي أن الفروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات، والاختلاف في مقدار الثقافة ونوعيتها وما تحتويه من أنماط متعددة، كل ذلك سينعكس على أداة التعبير (اللغة) ولا شك أن هذا هو أهم عامل من عوامل انقسام اللغة إلى لهجات، فتعبر حينها كل لهجة عن نمط معين من أنماط الثقافة الاجتماعية الذي يؤدي طبعا إلى التغيير في أنماط اللغات السائدة، فتنقسم كل لغة إلى لهجات، وتعبر كل لهجة عن ثقافة فئة معينة خاصة بها، وذلك عن طريق ما تضفيه عليها تلك الفئة أو الجماعة من المصطلحات والمرادفات الخاصة بثقافتهم، فتصبح لهجتهم بعد ذلك سمة مميزة لهم وجزءا من النسق الثقافي الخاص بهم.

ويمثل "**لويس جان كالفي**" للغة الحاصرة بلغة المقاطعتين الفرنسيتين (بريتون وكورسيكا) ففي نطاق متعدد اللغات تعد لغة هاتين المنطقتين لغة حاصرة في مقارنتهما باللغة الفرنسية، بيد أنه في نطاق أحادي اللغة يمكن الحديث ها هنا عن لغة كورسيكا كلغة ناشرة، ويكون داخلها أشكال لغوية حاصرة (لغات خاصة بأسر معينة، ومناطق معينة، وأعمار معينة...)، والأمر ذاته ينسحب على أولئك الفرنسيين العاملين في الولايات المتحدة الأمريكية والذين يستخدمون اللغة الإنجليزية في أعمالهم، فإنهم سيستخدمون فيما بينهم لغتهم الفرنسية في مقابل الانجليزية، فتكون وظيفة اللغة الفرنسية ها هنا وظيفة اللغة الحاصرة، وهم أنفسهم حينما يعودون إلى بيوتهم قد يستخدمون أشكالا خاصة جدا من الفرنسية، فتكون وظيفة اللغات الخاصة ها هنا وظيفة اللغة الحاصرة بالمقارنة بالفرنسية، أي

وظيفة لغوية خاصة حاصرة فقط في الأسرة، وحتى أطفال الأسرة ذاتها قد يستعملون فيما بينهم لغة حاصرة خاصة بهم وهكذا.

والحق إننا جميعا على قدر ما من التعدد اللغوي حين نكون أحاديي اللغة، معنى هذا أننا وإن كنا في نطاق اللغة الواحدة (لغتنا الأم)، فإننا نستخدم أشكالا مختلفة ومتنوعة من هاته اللغة، وإن اختيار هذا الشكل أو ذاك من اللغة إنما هو اختيار لوظائف معينة ومخصوصة، ذلك أن لكل واحد منا معجمه الخاص، ألفاظ من تاريخه الشخصي لا يستخدمها إلا مع عدد من المخاطبين، كلمات صغيرة محببة للأزواج وألفاظ للجماعة أو أبناء الجيل والأنداد، وكلمات للأصدقاء والأصحاب، وألقاب للتحبب نخصصها لأفراد الأسرة، وألفاظ مخصصة للأطفال، كتلك التي يخطئون في نطقها والتي ترافقنا طوال حياتنا من خلال ذاكرة الأسرة فتحضر عند كل اجتماع.

مراجع المحاضرة:

1- مجد الدين الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق :أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد.
2- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية.
3- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية.
4- مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي.
5- محمود السعران، اللغة والمجتمع، رأي ومنهج.
6- عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع.
7- مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية.
8- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة.
9- مختار الغوث، لغة قريش.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة الخامسة: اللغة الناشرة (القطب الناشر).

أولا- **ماهية اللغة الناشرة (القطب الناشر).**

1- النشر في اللغة: ورد في القاموس المحيط:""النشر:الريح الطيبة،...إحياء الميت،...ونحت الخشب، والتفريق، والقوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس،...وإذاعة الخبر، يَنْشِرُهُ ويَنْشُرُهُ."

وجاء في المعجم الوسيط في معنى النشر:"نشر الشيء نشرا: انتشر...و(انتشر) الشيء: انبسط، والخبر: ذاع، والشيء تفرق...وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ الْصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾".

2- في الاصطلاح: جاء عن "**لويس جان كالفي**" قوله عن القطب الناشر من اللغة يعني أن :"يوسع الشكل اللغوي الناشر من دائرة التواصل إلى أكبر عدد ممكن (من الناس)".

إذن ففي ظل اكتفاء النمط اللغوي الحاصر(لغة القطيع)، بأقل عدد ممكن من البشر في عملية التواصل، أي بالأتباع المطلعين على السر أو الشفرة، أو بالأقارب والمجموعات الخاصة جدا، يعمد النمط الناشر من اللغة إلى توسعة دائرة تواصله إلى أكبر عدد ممكن من الناس والمجتمعات، وإذا كان النموذج الحاصر من اللغة يسعى بالعادة إلى إدارة الاختلاف اللغوي الحاصل، فإن النموذج الناشر على خلاف ذلك سيسعى دوما إلى التقارب اللغوي والتوحد ضمن نظام لغوي مشترك، وبالنتيجة يمكن لهذا التقارب أن يولد شفرة خاصة وموحدة (كاللغات الخليط (Pidgin) التي هي نتاج من نتاجات الاحتكاك بين متخاطبين من لغات مختلفة حينما يكونون في وضع تطرح فيه مشكلة التواصل.

بيد أن مهمة النمط الناشر من اللغة غير موقوفة فحسب على التقارب بين اللغات وخلق لغة مشتركة موحدة، بل سيتجاوز الأمر ذلك إلى إمكانية ترقية إحدى اللغات الموجودة محليا لتصبح لغة ناشرة.

ثانيا– عوامل ترقية اللغة من الحصر إلى النشر.

1– العوامل الجغرافية:

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافا كبيرا، فمنها ما تتاح له فرص مواتية لتنتشر في مناطق واسعة من الأرض، فيتكلمها حينئذ عدد كبير من الأمم، كما حدث للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى، وللانجليزية والاسبانية والبرتغالية والفرنسية والألمانية والتركية في العصور الحديثة، وهي ما أسميناها باللغات الناشرة، ومنها ما تسد أمامه المسالك، فيقضى عليه أن يظل حبيسا في منطقة ضيقة من الأرض وفئة قليلة من الناس، كما حدث للأينو، والبسكية، واللتوانية، وهي ما أسميناها سلفا باللغات الحاصرة، أما اللغات الناشرة فقد انتشرت تقريبا في ظروف متشابهة إذ يورد الباحث الفرنسي "**لويس جان كالفي**" نماذج للغات الناشرة (**كاللغة اللنغالية**) التي انتشرت على امتداد نهر الكونغو، وأصبحت (**لغة سانغو**) لغة نشر في أفريقيا الوسطى، كما أصبحت (**المالية**) لغة نشر بإندونيسيا بانتقالها من مرفأ إلى آخر، وكذا الأمر مع (**اللغة السواحلية**) التي اخترقت كثيرا من دول أفريقيا...وهلم جرا.

والحق أن العامل الجغرافي يعمل دوما على تحديد شكل توسع اللغات، فقد يكون انتشارها على امتداد الخطوط الطبيعية (أنهار، سواحل...) تتجنبا للعوائق، وقد يكون نتيجة للتقسيم الطبيعي للأرض فيحفز هذه الوظيفة، كما هو الحال في الأرخبيل، أو للأعراق والأصول المشتركة التي تؤدي وظيفة الناشر للغة والمشجعة عليها لحل مشكلات التواصل التي تخلفها الظروف الجغرافية.

2– العوامل الحَضَرِيَّة:

مما لا مراء فيه اليوم أن العوامل الحضارية ذات أهمية بالغة في النشر الثقافي عموما والنشر اللغوي على الوجه الأخص، وتمثل المدن العامرة أو الحواضر مصدر تجمع للناس والأفكار، يؤمها الناس لقضاء حوائجهم فتتلاحق أفكارهم ويتبادلون المصالح، ومن هنا ستفرض المدينة كالعادة سلطانها على الناس في الزي والسلوكيات العامة واللغة وأنماط الكلام، فتكون المدينة منطلقا لنشر الحداثة من موقع الغلبة، إذ المغلوب دوما مولع بتقليد الغالب، وما شاعت لغة قريش بين العرب وظهرت على أخواتها من العربيات إلا لذلك، فقد كانت قريش"أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة...وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيروا من تلك اللغات، إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"، لقد كانت قريش حاضرة من كبرى الحواضر، تأمها الناس عامة العرب خاصة للتجارة

والعبادة، فكانت ملتقى الفكر والأدب والشعر، فيلقي الشعراء ما جادت به قرائحهم من جميل القول ويتبارون في ذلك، ومن ها هنا كانت للغة قريش مزية ومكانة خاصة فلا ينظم الشعر إلا بها ليضمن الشيوع والذيوع بين العرب أجمعين.

ومن هنا يمكننا التركيز على الدور الذي يمكن أن تؤديه الحواضر والمدن الحديثة والكبرى في نشر اللغات لكونها مركز الاستقطاب الإداري والوظيفي والاقتصادي، ذلك أن كثير من عامة الناس – موظفين ومواطنين– كثيرا ما يأمون المدينة طلبا للوظيفة أو المصلحة، ومن ها هنا سيضطرون إلى تعلم لغة المدينة بخلاف أولئك الذين لا يبرحون قراهم مطلقا.

3– العوامل الاقتصادية:

كانت التجارة ولا تزال عاملا مهما في احتكاك الأمم والأقوام وتلاقيهم، وهم في جميع الأحوال محتاجون إلى أداة تواصل فاعلة تمكنهم من قضاء حوائجهم باحترافية تامة، ومن ها هنا ستكون المرافئ والأسواق وأماكن تجمع الناس قبلة للغات التي ستفرض نفسها على الناس فينقلونها مع ما سيقلون من بضائع وسلع إلى مختلف البلاد، فتضمن اللغات إذ ذاك أكبر انتشار لها سواء في شاكلة مصطلحات ومفاهيم أو في شاكلة لغات تواصل كاملة، وهو ما حدث للغات من نحو: (الكيشوا والسواحلية والعربية) في الزمان الأول، وكاللغة (الانجليزية) التي تفرض نفسها اليوم على العالم كله من خلال المصطلحات والمنتجات وسيول الأفكار والمخترعات حتى غدت لغة العالم كله، والحقيقة أن قوة اللغة في عصرنا الحالي تكمن في قوة اقتصاديات الدول حتى قيل:"اللغة الأقوى هي لغة الأقوى"، أي الأقوى اقتصاديا، الأقوى عسكريا، الأقوى سياسيا، فتضطر الدول الأخراة حينها للاستيراد، استيراد السلع والبضائع والأفكار والنظريات أيضا، ومن ثم ستجد نفسها مجبرة على استيراد اللغة لا محالة.

4– العوامل الدينية:

الحقيقة أن ارتباط اللغة بالدين حديث قديم العهد فمنذ قرون شِيْءَ للعربية أن تنتشر بفعل انتشار الدين الإسلامي في بقاع كثر غير عربية اللسان، فضمنت بذلك أوسع انتشار لها، إذ غلبت على كثير من اللغات كالقبطية والأمازيغية والكوشيتية...وغيرها، وانتشر اللسان العربي بالهند والصين وبلاد ما وراء النهر مرورا بأدغال أفريقيا وصحاريها وصولا إلى شمال أفريقية وجنوب أوروبا، فتضاف حينها عدد الناطقين بها، وتحولت من لغة حاصرة لا يتجاوز عدد الناطقين بها بضة آلاف يقطنون منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من بلاد العرب، إلى لغة ناشرة بتكلمها مئات الملايين في العالم، وكذا الأمر في الرسم الكتابي العربي الذي غدت كثير من البقاع غير العربية اللسان تتخذه أداة للكتابة.

والأمر ذاته ينسحب على اللغة اللاتينية والسنسكريتية، وعلى اللغات المستخدمة في التبشير بالدين المسيحي في العصور الحديثة خاصة، فقد عمد المبشرون الإسبان إلى اعتماد لغة (الكيشوا) أداة للوصول لأهدافهم فنالت بذلك حظا وافرا من الانتشار.

5- العوامل السياسية:

من المفيد جدا ونحن نتحدث عن التخطيط اللغوي الإشارة إلى أهمية الجانب السياسي في الترويج للغات ونشرها، فقد أدى تردد الإسبان مثلا في قضية مواجهة عدد من اللغات وقد أشير إليها سلفا بهدف استخدام لغة محددة للتبشير الديني، وهذا الجهد كله يدخل ضمن ما يسمونه بالسياسة اللغوية، وفي الغالب ترتبط الخيارات السياسية بمصائر اللغات الناشرة، فتوسع اللغة السواحلية في كثير من الدول الأفريقية مثلا كان نتيجة للسياسات اللغوية الألمانية أولا وللسياسات اللغوية البريطانية بدرجة ثانية، كما عززت قرارات الحزب الوطني الاندونيسي من وضع اللغة الماليزية في اندونيسيا، وكذا الأمر في بلاد المغرب العربي التي استقلت عن فرنسا، حيث عمدت السياسات اللغوية فيها إلى استبدال اللغة الفرنسية وتعزيز موقع اللغة العربية الأم لتكون لغة للتعليم والإدارة والإعلام والإنتاج الأدبي والفني.

6- العوامل العسكرية:

كثيرا ما تسبب احتلال مناطق من العالم في دخول أمم جديدة في عداد الناطقين بلغة الغزاة كما حدث للاتينية في العصور القديمة إذ غلبت على اللغات الأصلية لايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلاد الغال وفرنسا والألب وأيبيريا، فأصبحت لغة الحديث والكتابة في كل تلك المناطق بعد أن كانت لغة محصورة فقط في منطقة ضيقة وسط إيطاليا وهي منطقة اللاتيوم، والأمر ذاته حدث للغة العربية إذ غلبت على كثير من المناطق الغير عربية اللسان بعد أن انتشر الدين الإسلامي في كل هاته البقاع على نحو: بلاد الهند والصين وبلاد ما وراء النهر وكثير من دول وسط أفريقيا وشمالها وغربها بعد أن كانت لغة محصورة في وسط شبه الجزيرة العربية، وكما حدث للألمانية إذ طغت على مناطق واسعة من المناطق المجاورة لها بأوروبا الوسطى بألمانيا وسويسرا والتشيك والنمسا بعد أن كانت لغة محصورة في مناطق ضيقة بألمانيا، والأمر ذاته للفرنسية في العصر الحديث التي انتشرت في قسم كبير من سويسرا وبلجيكا وكندا وكثير من الدول الأفريقية نتيجة الاحتلال الفرنسي للدول الأفريقية فغدت اللغة الرسمية في هاته الدول بعد أن كانت فقط محصورة بفرنسا، وكذا الأمر في اللغة الانجليزية التي انتشرت في أمريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا، ونجم أيضا على الاحتلال الاسباني لمجمل الدول الأمريكية انتشار هاته اللغة في جل هاته المناطق ، وكذا الأمر مع اللغة البرتغالية...وغيرها من اللغات كثير.

7- العوامل الحضارية والثقافية:

في ظل العالم المتداخل المصالح والعولمة الثقافية والمعرفية والتسارع العلمي والتطور التكنولوجي، ستفرض العوامل الحضارية والثقافية نفسها بقوة في نشر لغاتها، وفي ظل العولمة الاقتصادية ورواج السلع والبضائع والمخترعات الجديدة والمنتجات الكهربائية والالكترونية والبرمجيات الرقمية الحديثة ستجد كثير من اللغات طريقها إلى الانتشار بشكل لا نظير له، ونتيجة لذلك فقد غدت لغات كانت غفلا في يوم من الأيام كالانجليزية والصينية والروسية واليابانية لغات عالمية لأنها لغات تنتج حضارة ويقدم أهلها للناس علما ومعرفة وصنائع مادية ومعنوية، يضاف إلى كل هذا ما تؤديه وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمشاهدة، وعالم الشابكة من دور في نشر هاته الثقافات واللغات على نطاق واسع، فهي تلقي إلينا يوميا بالآلاف من الإشهارات والعلامات والماركات التجارية، ونشرات الأخبار والأفلام والأغاني والمباريات الرياضية...وهلم جرا، كل هذا سيدفع بالطبع كثيرا من اللغات إلى المزيد من الانتشار والرواج.

مراجع المحاضرة:

1- مجد الدين الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق :أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد.

2- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية.

3- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية.

4- مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي.

5- محمود السعران، اللغة والمجتمع، رأي ومنهج.

6- عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع/7-.مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية/8- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة.

9- مختار الغوث، لغة قريش.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة السادسة: اللغة والبيئة.

تمهيد:

يجمع الباحثون في مجال اللغة أن الوظيفة الرئيسة لها هي تحقيق التواصل بين الجماعات المختلفة زمانيا ومكانيا، وإذا كان تأثير العوامل الزمانية في اللغات أمرا طبيعيا، إذ تختلف هاته الأخيرة من زمان إلى زمان مشاكلة طبائع الأفراد الناطقين بها في تطورهم وتغير عاداتهم وسلوكياتهم الأمر الذي جعل كثيرا من الباحثين يسلك هذا المسلك البحثي في دراسة اللغة، فإن تأثير العوامل المكانية أمر لا يمكن أن ينكر أيضا، ذلك أن انتقالك من مكان إلى مكان سيكشف لك بجلاء عن اختلاف مسالك الناس في استعمال للغة، وهو أمر حدا بعدد آخر من الباحثين ليسلكوا هذا المسلك البحثي متتبعين مسارات اللغة عبر المكان والبيئات المختلفة.

1- أثر العوامل الطبيعية والجغرافية.

اشتغل كثير من الباحثين اللغويين على ما يمكن للمكان أن يضفيه على طبائع الناس واختلاف سلوكياتهم في استعمال اللغة، ويبدو الأمر بينا في اختلاف طرائق الناس في استعمال اللغات اختلاف بيئاتهم ومشاربهم، ويورد الباحث اللغوي "**علي عبد الواحد وافي**" أن البيئة الجغرافية ذات أثر ذا بال في تحديد خصائص اللغة وفي كثير من مظاهر التطور اللغوي، إن التوافق الحاصل بين حضارة الأمة ولغتها أمر بين للعيان، ذلك أن جميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانه، وتتجه بها في سبل التطور وجهة خاصة، من أجل ذلك تبدو الفروق واضحة للعيان بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والمناطق الباردة في أنماط استعمال اللغات، وبين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية، وبين سكان المناطق الشمالية والمناطق الوسطى أو الجنوبية، ومن الممكن أن تنشأ فروق لغوية واضحة بين لغات الفصيلة الواحدة، بل بين لهجات اللغة الواحدة، من أجل ذلك تبدو مظاهر الجغرافيا والمفردات الدالة عليها ذات نفوذ واسع وسيطرة كبرى على مستوى أي لغة ودقة دلالاتها وانبثت في شتى فنون القول، ومن أجل ذلك أيضا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة مستمدا من مظاهر البيئة وكل ما اختصت به طبيعة البلاد، بل إن الأمر قد تجاوز ذلك إلى مختلف مجالات الإبداع الفني والأدبي التي عكست في معظمها أساليب الكتاب وتأثرهم بالبيئة المحيطة من تلبد وصفاء وقبح أو جمال وصخب أو هدوء وتقلب أو ثبات، وما ينبعث عن كل ذلك من رخاوة أو قوة و خمول أو نشاط وخشونة أو نعومة، ومن هنا يمكن للباحث المتفرس على

ضوء هاته المعطيات أن يكشف ملامح البيئة التي نشأت فيها لغة ما، ومختلف ملامحها من قوة ونعومة وغزارة أو إقلال، وكذا مسالك الخيال والتشبيه فيها.[1]

والحق أقول إن اختلاف اللغة باختلاف المكان والبيئة الاجتماعية أو البيئة الجغرافية أمر بين للعيان كما جاء عن العلم السويسري "**فرديناند دي سوسير**"، فمن الناحية المعجمية (المفردات) تبدو الفروق بينة بين المناطق الشمالية والجنوبية والبحرية والجبلية والصحراوية وما يمكن لكل بيئة أن توفره من مفاهيم ومعاني ومصلحات قد لا نلفي لها نظيرا في المناطق الأخراة، بل قد يبدو الأمر جليا في أساليب التعبير المختلفة عن المفاهيم والأشياء وفي تفسير الظواهر الطبيعية أيضا، كما قد يبدو الاختلاف أيضا في كيفيات النطق بين المناطق على نحو:(التمر/ الطمر)، (يا لطيف/يا لتيف)، (يعطيك/ ياتيك)،(قال/جال)، (قهوة/كهوة)، (صَلاَحٌ/سَلاَحٌ) (صَبَاَحُ الخير/ سَبَاَحُ الخير)، (الثوم/التوم/الفوم) ... وهلم جرا، ناهيك عن الارتفاع البين في الصوت وقوته بين ساكنة البوادي والأرياف في مقارنهم بساكنة المدن والحواضر ، فإننا كثيرا ما نلحظ عندهم جهارة وقوة وعلوا لا نظير له في الأداء الصوتي، وقد يكون مرد ذلك لاتساع المكان، أو لأن الفضاء الجغرافي يسمح بذلك، بل قد يتطلبه ربما.

2- اللغة والوراثة والمكان.

قد يبدو الحديث عن أثر العوامل الوراثية في اكتساب اللغة أمرا غير ذي صلة بما يمكن أن يكون للبيئة من أثر في سلوكيات الفرد اللغوية، بيد أن الحقيقة خلاف ذلك، فاختلاف الشعوب بعضها عن بعض في خواصها الوراثية المتعلقة بأعضاء النطق أمر لا يُسْتَهَانُ به في تحديد خواص اللغة وفي كثير من مسارات التطور اللغوي، وخاصة فيما تعلق بأصوات اللغة، فأعضاء النطق تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية التي زود بها كل شعب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف.

إن الأمر الذي لا يجب أن يعزب علينا هو أن أعضاء النطق تظل مرنة مرونة تامة طوال المراحل الأولى من مراحل الاكتساب اللغوي عند الأطفال الذين يلاحظ أنهم يملكون الاستعداد والكفاية التامة لاكتساب أي نظام لغوي مهما كان معقدا أو بعيدا عن النظام اللغوي لديه من طريق المحاكاة المباشرة، بل إن باستطاعته أن يكتسب بهاته الوسيلة عدة لغات أجنبية إذا ما أتيحت له فرصة للاختلاط المباشر بالمتكلمين بها، بل ويصل إلى إجادتها

(1) ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 55، 59

إجادة تدفع الباحث اللغوي المتخصص للحيرة في التمييز بينه وبين أهل اللغة الأصليين، بيد أنه كلما تقدم في السن ظهرت عنده الاستعدادات الصوتية الكامنة والمكتسبة الخاصة بلغة أمته، فترسخ لديه عاداتها الكلامية، فتفقد إذ ذاك أعضاء النطق لديه مرونتها وقابليتها للتكيف مع الأوضاع الجديدة شيئا فشيئا، وتتشكل بالشكل الذي درجت عليه في أمته ومجتمعه، فتسلك في تطورها منهجا خاصا يختلف عن المنهج الذي تسلكه أعضاء النطق في الشعوب الأخراة.

وإلى هذا السبب يرجع اختلاف الشعوب في طرائق نطق اللغة الواحدة باختلاف مناهج ومسالك التطور عند الشعوب ذاتها، فاللاتينية مثلا قد سلكت في تطورها الصوتي عند كل شعب من الشعوب الناطقة بها مسلكا يختلف عن الشعوب الأخراة، فظهرت في أشكال جديدة هي:(**الفرنسية والاسبانية والايطالية والبرتغالية ولغة رومانيا**...)، وسلكت اللغة العربية المسلك ذاته فلم تلبث زمنا حتى ظهرت منها لهجات عامية على نحو:(عامية العراق، وعامية الشام، وعامية نجد والحجاز، وعامية اليمن، وعامية مصر وعامية بلاد المغرب...).[2]

إن انتقال الأمم من البداوة إلى الحضارة والمدنية لينعكس جليا في لغاتها، إذ تتهذب اللغات وتسمو أساليبها ويتسع نطاق استعمالها عبر المكان باتساع الرقعة الجغرافية للدولة، وقد يزول عنها ما كان قد علق بها من خشونة البداوة فتكتسب مرونة في التعبير والدلالة، إن مقارنة بسيطة بين حال اللغة العربية مثلا في عهد بداوة العرب قبل الإسلام، وحالتها في عهد حضارتهم الإسلامية، أو بين ما كانت عليه عن أهل البادية في عصر ما، وما كانت عليه في الحضر في العصر نفسه لأصدق برهان على ذلك، فالبدوي الذي رام الصحاري والقفار لا تنم قريحته إلا على ما اخشوشن من الكلام وما جَلُفَ من القول قياسا لطبيعته ومنشأه، أما إن رام الحضر وألفه فسرعان ما ترق طبائعه وتلين لغته وتتهذب ألفاظه، فيأتيك بعذب الكلام وأرقه.[3]

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة السابعة.

(2) ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 55، 57.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 13، 14.

اللغة والإثنية أو العرق.

تمهيد:

عوامل كثيرة بمكنها التأثير في لغة الفرد المتكلم حددها العلماء والدارسون اللغويون منها ما كانت موضع اتفاق بينهم كأثر العوامل الاجتماعية والمهنية والدينية والثقافية والجغرافية والاقتصادية...، ومنها ما كانت موضع خلاف بينهم وأخص بالذكر هاهنا العوامل الجنسية والعرقية أو الطائفية، ونقدم في هذا الجانب من البحث دراسة حول العوامل الرابطة بين هاته العوامل (الإثنية) أو العرقية وبين العوامل اللغوية تعلما واكتسابا وتعاملا.

أولا– ماهية العرق أو (الجنس والإثنية).

ورد في اللغة عن المعجم الوسيط في معنى العرق:"الْعِرْقُ: أصل كل شيء".[4]

وفي القاموس المحيط أيضا :"عروق وأعراق وعِراق...أصل كل شيء"[5]

أما في الاصطلاح فقد جاء مفهومه عند الأنثربولوجيين: الجنس أو العرق أو الطائفة البشرية هي مجموعة من الناس تنتمي لأصل محدد كأن يقال الجنس الأوروبي، الجنس العربي الجنس الآسياني...وهلم جرا.[6]

وتؤثر بعض المراجع العربية استعمال كلمة (الإثنية) (Ethnic) الأوروبية دون ترجمة في إشارة للجنس أو العرق أو الطائفة فيقال في السياسة:(الصراعات الإثنية) أي الطائفية والعرقية.

ثانيا– مواقف العلماء من علاقة اللغة بالعرق.

(4) المعجم الوسيط، ص 596.

(5) الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص 1079.

(6) ينظر: عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 13، 14، وينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 197، 198.

الحقيقة أن علاقة اللغة "بالعرق أو الجنس" البشري كانت من أهم القضايا التي شغلت اللغويين والأنثربولوجيين لسنوات طوال، وكان اللغويون يذهبون إلى أن معرفة المراحل التي تطورت فيها اللغة تفسر لنا تاريخ الأزمنة القديمة، ويبدو أن عددا من الأنثربولوجيين قد قبل هذه الدعوى، وقال بقدرة اللغة على تفسير الجنس الذي تحدث بها، وقد حاول "**جون كيندي**" (John Kennedy) في عدد من أبحاثه أن يبرهن أن الهنود الأمريكيين قد هاجروا إلى أمريكا من قارات أخرى، وذلك بمقارنة عدد من الظواهر اللغوية عند بعض قبائلهم بلغات لا تزال موجودة في غرب أفريقيا، وقدم "**كلارك هايد**"(Clarke Hyde) تصنيفا للغات بحسب خصائص تتصل بالجنس، وحاول بعضهم الادعاء بأن لغة الشعوب الآرية (ذات الشعور الشقراء والعيون الزرقاء) لغة راقية لأن من يتكلمها شعب راق متقدم على غيره، وقد اتخذت هذه الذرائع سبيلا لاستعمار كثير من الدول الفقيرة، أما " **جوستاف أوبيرت** "(Gustav Oppert) فدافع عن هذا الاتجاه وذكر أن اللغة تحتفظ ببنيتها الخاصة وهي – إن لم تتوافق دائما مع أمة خاصة– فإنها تدل على الجنس الذي تحدث بها أولا، وهي تحتفظ بالنمط الذي كان عليه تفكير أولئك الذين انبثقت بينهم اللغة بوصفها وسيلة طبيعة للاتصال رغم أن الجنس قد يكون اختفى اختفاء تاما.

بيد أن هذا الاتجاه لم يلق قبولا كبيرا لدى كثير من الأنثربولوجيين إذ عارضه كثير منهم، وقد أشار "**تايلور**"(Taylor) إلى أن الوصل بن اللغة والجنس وصل زائف، ذلك أن أجناسا مختلفة تتكلم لغة واحدة، وأجناس تغير لغاتها، ويرى العالم "**سايس**"(Sayce) أن المجتمع هو الذي ينظم اللغة وليس الجنس، ويشير العالم الانجليزي "**وثني**"(Whitney) إلى أن اللغة تكتسب ولا تصنع وهي مؤسسة وجزء من ثقافة الشعب الذي تنتمي إليه، وهي غير ثابتة كغيرها من مظاهر الأخراة للثقافة.

ومع ذلك فإننا نلحظ في لغة المتكلمين باللغة العربية مثلا من هم من أصل تركي أو شركسي أو إيراني أو أرميني بعض المواصفات التي تميز بها أبناء تلك الأجناس عن غيرهم من الأجناس الأخراة، وهذه المواصفات تتمثل في النطق والمفردات وربما جل أبنية اللغة المختلفة، وهذه الظواهر ملحوظة بشكل جلي في أمريكا في بعض العبارات

الخاصة بلغة اليهود والهولنديين و في لغة الفئات من أصل اسباني أو برتغالي لكنها أوضح ما تكون في لغة السود، فهل هذه الاختلافات التي تميز لغة فئة عن أخرى ناتجة عن انتماء جنسي؟[7]

ويرى الدكتور "مصطفى حركات" في علاقة اللغة بالجنس والعرق البشري رأيا هذه الصفة التي طرحت يوما ما في التاريخ الإسلامي، وهي اليوم لا تطرح بتاتا، وذلك لسبب تاريخي ديمغرافي، وهو أن العرب بعد انتشار الإسلام اختلطوا مع أجناس أخر وذابوا في الجماهير المحيطة بهم، ولما امتلكت بعض الشعوب لغة العرب صاروا عربا مثلهم، والسبب الثاني هو أن النظرة السريعة لسكان العالم العربي ترينا تنوعا كبيرا في الأوصاف الجسدية ينفي تماما الوحدة العرقية، فلم يعد أحد من العالم العربي الكبير من يعرف تمام المعرفة عن أجداده شيئا يذكر إن كانوا أمازيغ أو فراعنة، أو آشوريون أو أتراكا أو فرسا.

وهذا التمايز بين اللغة والعرق أو الجنس لا يخص العالم العربي وحده بل هو وارد في العديد من بلدان العالم، فالفرنسيون لا يعرفون عن أجدادهم شيئا وكذا الانجليز والأمريكان، فهم اليوم خليط من الأجناس توحدهم اللغة والأرض. [8]

والحق أن البحث العلمي لا يؤيد هذه النظرة مطلقا بل يعزو هذه الظاهرة لأسباب كثيرة أهمها الأسباب الاجتماعية، ويلحظ ذلك بشكل جلي في أولئك الذين يهاجرون من بلدانهم إلى بلد أجنبي فإنهم رغم اكتسابهم لنظام لغوي جديد إلا أنهم سيحتفظون في لغتهم برواسب تقل أو تكثر من لغتهم الأم، وهو أمر لا يمكن مطلقا أن ينسحب على أبنائهم من الجيل الثاني والثالث ممن ولدوا وترعرعوا في المجتمع الجديد، وذلك أن اكتسابهم للغة لن يختلف مطلقا على المواطن الأصلي للبلاد، وقد اشترط العلماء في ذلك شرطا رئيسا وهو الاندماج الحقيقي والطبيعي لهؤلاء في جميع مظاهر الحياة مثلما حدث في فرنسا وغيرها من الدول الأخراة.[9]

---

(7) ينظر: عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 13، 15، وينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 197، 198، وينظر: محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 95، 98.

(8) ينظر: مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، ص 48، 49.

(9) ينظر: عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 13، 15، وينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 197، 198، وينظر: محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 95، 98.

ثالثا– اللغات المتخلفة (البدائية).

إن الحديث عن اللغة والجنس أو العرق سيقودنا لا محالة إلى الحديث عن "اللغات المتخلفة" أو "البدائية"، ذلك أن عددا من اللغويين كان قد وسم بعضا من اللغات بالقصور والتخلف، ومن وجهة نظرهم ما دامت هناك شعوب متخلفة فهذا يعني بالضرورة وجود لغات متخلفة أيضا، لغات تعجز عن الوفاء بحاجات المدنية والمشاركة في أحداث العصر واستيعاب العلم والفلسفة والفنون، ومن السمات التي وَسَمَ بها بعض علماء الأنثروبولوجيا اللغات البدائية نورد الآتي:

1- أن اللغات البدائية غير قادرة على التعميم والتجريد، وكما يقول "**بايني**"(Payne) إن البدائيين عندهم كلمات كثيرة تحيلك على سمات شيء واحد نحو:(موز، طائر، سمك، شجر...)، بيد أنك لا تجد عندهم ما يدلك على الفكرة مباشرة.

2- أن اللغات البدائية عاجزة عن التعبير تعبيرا دقيقا محددا، وذلك لأن مفرداتها محدودة جدا، وهي خصيصة تناقض ما ذكرناه سلفا، ففي حين قد نجد كلمات كثيرة تحيل على شيء واحد دون أن نجد له كلمة خاصة تحيل عليه مباشرة، هناك ألفاظ مفردة قد تحيل على مجموعة من المعاني التي لا رابطا منطقيا بينها ويتحدد المقصود بعوامل خارجية.

3- أن اللغات البدائية معرضة دوما للتغيير السريع، بخلاف اللغات المتقدمة التي تعد في نظرهم أكثر ثباتا واستقرارا.[10]

بيد أن المسلم به أن بعض اللغات في أيامنا هذه بعيدة عن التيارات والأحداث الكبرى للعالم المتطور، وأقل قدرة من سواها على مجاراة مدنية العصر القائمة على المكننة، فقد تستعمل مفردات لا تواكب العصر وتطوره، أو قد لا يكون فيها أسماء عامة بسيطة أو كلمات مجردة تدل على معاني خاصة جدا، وقد يكون نظم هاته اللغة دقيقا بحيث لا يحتاج إلى مثل هذا التدقيق، وقد تستعمل تركيبات دقيقة ومكررة للتعبير عن حالات بسيطة، ومما يؤكد في هذا السياق بحسب رأي "**فندريس**" أن اللغة تعكس صورة خاصة من التفكير يقول:"إن اللغة تستطيع في بعض الأحيان أن تعدل من العقلية وتنظمها، فعادة وضع الفعل في مكان بعينه دائما، يمكن أن تؤدي إلى صورة خاصة من

(10) ينظر: محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 69، وينظر: عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 15، 16.

التفكير ون يكون لها اثر في طرق الاستدلال، والتفكير الفرنسي والألماني والانجليزي خاضع للغة إلى حد ما. فإن اللغة إن كانت مرنة خفيفة مقتصرة على الحد الأدنى من القواعد النحوية، سمحت للفكرة بالظهور في وضوح تام، وأتاحت لها حرية الحركة، وعلى العكس من ذلك تختنق الفكرة من التضييق الذي يصيبها من لغة جامدة ثقيلة، ولكن عقلية المتكلمين تتصرف لتعتاد أي شكل من أشكال اللغة".[11]

بيد أن الحديث عن وجود لغات بدائية شيء، والقول بأن هاته اللغات لن يتاح لها التعبير عما يمكن أن تعبر عنه اللغات الراقية شيء آخر، فلهاته اللغات ظروف خاصة وهي عمليا غير ثابتة كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخراة، فما ينقصها من مفردات لا أسهل من أن يضاف إليها فتغتني وتنشط فتزداد ثراء ورقيا، أما نظمها المعقد فقد يبسط فتتغير حينئذ بنية جملها، أما العجز في التعبير عن المجردات فيمكن التغلب عليه، فاللغات المتخلفة قادرة إذا ما صادفتها ظروف ملائمة على لتكيف والتطور السريع، وهو أمر أكدته الدراسات اللسانية الحديثة، التي رفضت تماما فكرة الربط بين اللغة والقدرات العقلية لمتكلميها، فالفروق التركيبية اللغوية العامة لا يمكن أن تختلف بين اللغات، واللغة في نهاية الأمر نظام، وقد ثبت أن كل لغة من هذه اللغات البدائية لها نظامها الصوتي والدلالي وهي قادرة على التوصيل داخل لمجتمع، وهي قادرة على استيعاب كل ما يمكن أن ينقله أصحابها وكل ما يمكن أن يستجد من ألوان الحياة.[12]

(11) فندريس، اللغة، ص 302.

(12)ينظر: محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 70، 71، وينظر: عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 16، 17.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة الثامنة.

الصراع اللغوي.

تمهيد:

إن الذي يحدث بين اللغات هو ذاته الذي يحدث بين الكائنات الحية الأخراة، من احتكاك أو تزاوج أو صدام وصراع من أجل النفوذ والسيطرة والبقاء والحياة أو الموت أو الاندثار، حتى قيل: " إن اللغات كما الناس"، فالصراع اللغوي إذن سنة اجتماعية كونية تكون نتائجها على اللغات إما مُرْضِيَةً وإما مدمرة، ذلك أن نتائج الصراع اللغوي لا تخرج عن ثلاثة مظاهر: فإما تفوق وانتشار يقابله في الوجه الثاني موت واندثار، وإما تساو وتعادل فتكون نتيجته ثنائية لغوية أو تعددية لغوية فردية واجتماعية، وسنعمد في هذا المبحث من الدراسة إلى استكناه حقائق الصراع اللغوي في جميع مظاهره مفيدين في كل ذلك مما جاء في بحوث ودراسات أخراة.

أولا– في ماهية الصراع اللغوي:

يورد الدكتور "**علي عبد الواحد وافي**" في كتابيه "**علم اللغة**" و"**اللغة والمجتمع**" كلاما طويلا عن ماهية الصراع اللغوي نقدمه للقارئ يقول:" يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلب والسيطرة، وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال، فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين فيسارع للقضاء على الآخر مستخدما في ذلك وسائل القسوة والعنف، ويتعقب فلوله فلا يكاد يبقي على أثر من آثاره، وتارة ترجح أحدهما كذلك، ولكنه يمهل الآخر، وينتقص بالتدرج من قوته ونفوذه، ويعمل على خضد شوكته شيئا فشيئا حتى يتم له النصر، وأحيانا تتكافأ قواهما أو تكاد فتظل الحرب بينهما سجالا ويظل كل منهما في أثنائها محتفظا بشخصيته ومميزاته".[13]

أما "**لويس جان كالفي**" فقد تحدث كثيرا عن صراع اللغات في كتاب له اسماه على وجه الاستعارة"**حرب اللغات والسياسات اللغوية**" ونراه كثيرا ما يستعمل مصطلحات من قبيل (نزاع اللغات، المناوشات اللغوية، اللغة

(13) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 229، وعلي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 95.

والتفوق، والمعركة اللغوية، وموت اللغات...)، هي الحرب إذا "هي حرب بالمعنى المجازي حينا، وحرب بالمعنى الحقيقي في أغلب الأحيان، وهي حرب الشق الداخلي من اللغة، في نظامها الداخلي وبنيتها وتطورها، وحرب في الشق الخارجي منها في علاقاتها بغيرها وفي علاقتها بمجتمعها".[14]

إن يهمنا في هذا المقام هو الصراع الخارجي للغة وذلك في علاقاتها مع بقية اللغات الأخراة وما هي نتائج هذا الصراع، على أن نتائج الصراع الخارجي للغة كثير ما تنعكس على النظام الداخلي للغة في شكل كتابتها ورسمها وفي طريقة نطق أصواتها وتركيب جملها وعباراتها وفي جانبها المعجمي أيضا.

ثانيا– مظاهر الصراع اللغوي:

1– نزوح عناصر أجنبية إلى البلد.

ويحدث هذا نتيجة لغزو واستعمار أو حروب وهجرة كبيرة، فينزح إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى نتيجتين: فأحيانا تنتصر لغة منهما على الأخرى، فتصبح لغة الجميع، وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى فتعيشان معا جنبا إلى جنب.

أ– الحالات التي يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين.

وتحدث عند تغلب إحدى اللغتين على الأخرى فصبح لغة الجميع ولها ثلاث حالات:

– الحالة الأولى:أن يكون كلا الشعبين همجيا قليل الحضارة منحط الثقافة، ويزيد عديد عدد أفراد أحدهما عن الآخر زيادة كبيرة، ففي هذه الحالة تغلب لغة الأكثر عددا، سواء كانت لغة الغالب أم المغلوب، الأصيل أم الدخيل، ولا تحدث هذه النتيجة إلا إذا كانت اللغتان المتصارعتان من الشعبة اللغوية ذاتها أو من شعبتين لغويتين متقاربتين، ومثل هذا في التاريخ شائع، فمن ذلك تغلب لغة الإنجليز السكسونيين القادمين من وسط أوروبا على اللغات السلتية لغة السكان الأصليين للشمال، أو حلول الغزاة النورماديين في اللغة الانجليزية بعد احتلالهم لمناطقها وهم على قلتهم فغلبت لغة الكثرة على القلة، أما تغلب لغة علة لغة من خارج فصليتها فنادر الحدوث، ولا يتم إلا بصعوبة وبعد أمد طويل واللغة التي تنشأ من هذا التغلب سينالها تشويه كبير وتحريف بالنظر إلى الاختلاف بين النطقين فتختلف عن

(14)لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 13.

صورتها الأولى مثلما حدث للغة البلغارية التي انقرضت تدريجيا بعد غزوهم لبلاد الصقالبة السلاف، بيد أن اللغة المحلية انحرفت كثيرا عما كانت عليه نتيجة الصراع.

– الحالة الثانية: أن يكون الشعب الغالب أرقى من المغلوب في حضارته وثقافته وعلمه ولغته، وأشد بأسا وأوسع نفوذا، فتغلب لغته وتصبح لغة الجميع وإن قل عدد أفراده، ويشترط في ذلك دوام الغلبة مدة من الزمان، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من الشعبة اللغوية ذاتها أو من شعبتين متقاربتين، والشواهد على هذه الحالة كثير، من ذلك تغلب اللغة اللاتينية على لغات وسط أوروبا وغربها كايطاليا واسبانيا وبلاد الغال وفرنسا، والأمر ذاته نجم عن الفتوحات العربية الإسلامية لكثير من لغات البلاد بآسيا وأفريقيا كالقبطية والأمازيغية والكوشيتية، حيث غلبت العربية عليها جميعا على كثرة أهلها وساكنيها.(15)

– الحالة الثالثة: أن يكون الشعب الغالب أقل من الشعب المغلوب رقيا وحضارة، وهاهنا تغلب لغة الشعب المغلوب، ذلك أن لهيبة اللغة ما يبررها بالنظر إلى قيمتها الذاتية، وهذه الحال تعد شيئا كبيرا كما في حال اللغة الإغريقية لأنها تفوق بكثير كل ما يمكن أن يضاف إليها من اللغة التركية الغازية (لغة الفاتحين)، فهي لا تستطيع الكفاح ضد اللغة الإغريقية التي تمثل ثقافة من أعرق الثقافات، وهنا نستبين ما للغات من قيمة ثقافية وحضارية، ويمكننا على سبيل التمثيل أيضا أن نورد أن الأرمينية لم تستطع الصمود أمام اللغة الروسية بيد أن اللغة البولندية صمدت في وجهها فهما لغتان متساويتان وليس في وسع إحداهما التغلب على الأخرى.(16)

ب– الحالات التي لا تقوى فيها إحدى اللغتين على التغلب.

وهي حالات التكافؤ اللغوي فلا تقوى الواحدة من اللغات على التغلب على الأخرى والشواهد في التاريخ على ذلك كثير، كاللغة اللاتينية التي عجزت عن غلب اللغة اليونانية مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب، فالإغريق ورغم خضوعهم للرومان، فإنهم كانوا الأعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأرقى لغة، وللسبب ذاته لم تقو الجرمانية على قهر اللغة اللاتينية في البلاد التي قهرتها كفرنسا وما إليها، ولم تستطع اللاتينية قهر الانجليزية رغم سيطرتها على بلادهم لزمن طويل، واللغة العربية لم تقو على اللغة الفارسية في بلاد ما وراء النهر رغم مكوثهم تحت

(15) ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 96، 108، وينظر: فندريس، اللغة، تـ : عبد الحميد الدواخلي، 349، وينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1984، ص 193.

(16) ينظر: فندريس، اللغة، تـ : عبد الحميد الدواخيلي، 351، وينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص 199.

حكمهم ردحا من الزمن، وكذا الأمر في بلاد الأندلس، ولم نقو اللغة التركية على كل البلاد التي كانت تحت جناح حكمها زمنا طويلا، وفي العصر الحديث لم تقو اللغة الفرنسية على لغات بلاد المغرب العربي رغم جهود فرنسا في فرض لغتها على هذه البلاد.

بيد أن هذا كله لا ينفي تأثر إحداهما بالأخرى فقد تأثرت اللاتينية بالإغريقية في أساليب وأدبها ومفرداتها ، وقد تركت العربية آثارا قوية في الاسبانية والبرتغالية، والأمر ذاته في اللغة الفارسية، أما التركية فقد تركت لها أثرا واضحا على اللغة العربية، وكذا الأمر بالنسبة للغة الفرنسية التي أثرا واضحا على الاستعمالات اللغوية المغاربية.[17]

2- التجاور بين شعبين مختلفي اللغة.

وهذا هو العامل الثاني من عوامل الصراع اللغوي، حيث يتيح تجاور شعبين مختلفي اللغة فرصا لاحتكاك لغتيهما، فتتشابكان في صراع ينتهي بما انتهت إليه الأمور في العامل الأول.

أ- الحالات التي يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين.

وتحدث هذه النتيجة ها هنا وهي تغلب إحدى اللغتين على الأخرى في حالتين:

الحالة الأولى: أن ينمو أفراد شعب نموا كبيرا فتضيق بهم أرضهم فيضغطون على من جاورهم بالانتقال إليهم وتزداد الهجرات المؤقتة وانتقالات العمال في مواسم معينة، فتكثر بذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين، وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثير السكان على لغة المناطق المجاورة له، شريطة ألا يقل على أهلها حضارة وثقافة ليضمن انتصاره، والشواهد في هذا كثر كطغيان اللغة الألمانية على جل المناطق المجاورة لها (سويسرا والتشيك وبولونيا والنمسا...).

الحالة الثانية: إذا تغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور له، في هذه الحالة تتغلب لغة الشعب النافذ ، شريطة ألا يقل عن الآخر حضارة وثقافة وأدبا، وأمثلة ذلك كثير كتغلب الفرنسية على لهجات المناطق المجاورة لها ببلجيكا وسويسرا فضحت لغة الحديث والكتابة، وكذا الأمر للغة الايطالية التي غلبت على المناطق المجاورة لها من سويسرا،

(17) ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 96، 108، وينظر: فندريس، اللغة، تـ : عبد الحميد الدواخلي، 349، وينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص 200.

وعلى هذا تتغلب في الدولة الواحدة لغة المقاطعة التي تكون العاصمة بها أو يكون بها النفوذ والسلطان، كلغة الباسك التي بدأت تنهزم أمام اللغة الفرنسية أو الإسبانية كل في مناطق تغلغله ونفوذه، كما انهزمت اللهجات السلتية في ايرلندا وويلز واسكتلندا في أماكن نفوذ الإنجليز حتى كادت تتلاشى، أما لسلطان العاصمة فشأن كبير فلوقوع عاصمة بلجيكا بروكسل في قسم للغة الفرنسية فيه نفوذ فقد أخذت الفرنسية تغلب على البلاد كلها، وكذا الأمر مع الألمانية التي غلبت على سويسرا انطلاقا من عاصمتها، والأمر ذاته نلفيه في لغة قريش لما كانت تتمتع به من سطوة ونفوذ ديني وسياسي حتى غلبت على لغات العرب قاطبة، ومن المفيد في هذا المقام أن نشير إلى أن الغلبة في اللغات لا تتم إلا بطول الزمان.

ب– الحالات التي لا تقوى فيها إحدى اللغتين على التغلب.

ويدخل في هذا الباب كل الحالات التي تخرج عما ذكر في الفقرات السالفة، كما هو الحال اليوم في العصر الحاضر من تجاور بين لغات كالفرنسية والألمانية والبرتغالية والاسبانية والإنجليزية، ولم يؤد تغلب لغة منها على لغة شعب آخر، لأن القوانين التي تحكمه تختلف عن القوانين الواردة في الحالتين المذكورتين سلفا، ولهذا السبب لم يؤد تجاور الفارسية والعراقية والتركية والأفغانية إلى تغلب إحداهما على الأخرى، وكذا الشأن في تجاور الإنجليزية والاسبانية والبرتغالية في أمريكا، بيد أن عدم تغلب الواحدة من هذه اللغات على الأحرى لا يعني عدم تأثير بعضها في البعض الآخر كما أسلفنا القول، فالانجليزية والفرنسية الحديثة تتقارضان المفردات وكذا تفعل الفرنسية مع الألمانية والإسبانية والبرتغالية، وكذا الأمر في تجاور الفارسية بالتركية والعراقية من انتقال للمفردات وأساليب التعبير.[18]

3– عوامل أخرى للاحتكاك اللغوي:

يمكن بعد الذي أوردناه أن نضيف بعض العوامل التي لا تقل أهمية عن العوامل السالفة الذكر للاحتكاك اللغوي من ذلك:

أ– اشتباك شعبين مختلفي اللغة أو شعوب مختلفة اللغة في حروب طويلة الأمد، فطول الاحتكاك سينقل اللغة بين الشعوب المتحاربة سواء الأعداء أو الحلفاء، كما حدث للغات الألمانية والفرنسية والانجليزية في الحروب العالمية،

(18) ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 109، 116، وينظر: فندريس، اللغة، ت : عبد الحميد الدواخلي، 349، وما بعدها، وينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص 203، 208.

والحروب الفرنسية الإيطالية، كما انتقلت إلى اللغات الأوروبية كثير من الكلمات العربية خلال الحروب الصليبية وبالأخص اللغة الفرنسية، أو كانتقال الكثير من الكلمات الفرنسية والإسبانية والتركية إلى معجم بلاد المغرب نتيجة طول استعمار هاته البلاد.

ب- العلاقات التجارية بين البلاد المختلفة اللغات، وذلك في شكل منتجات تسافر من بلد إلى بلد الآخر بمعية مصطلحاتها، فلا تلبث أن تشيع وتنتشر بين أفراد الشعب الآخر فتمزج بين اللغتين.

ج- توثق العلاقات الثقافية بين الشعبين مختلفي اللغة، فإن ذلك سينقل إلى كل لغة منهما شيئا غير يسير، وبالأخص إلى لغة الكتابة وهذه الآثار لا تقف عند المفردات فحسب، بل تتجاوزها إلى الأساليب وبالأخص لغة الكتابة، كاللغة العربية مثلا فقد انتقلت إليها آثار من اللغة الفارسية واليونانية، واللغة العربية اليوم قد انتقل إليها الكثير من الأساليب الأجنبية نتيجة الترجمة والاحتكاك باللغات الأوروبية خاصة.[19]

4- صراع الأعلى والأدنى.

يورد كثير من الباحثين أنه متى حدث صراع وتصادم بين النمط الأعلى من اللغة والنمط الأدنى منها فإن أفرادا من المجتمع سيساندون الشكل اللغوي الأعلى وسيطالبون بالاستغناء عن الشكل اللغوي الأدنى، في حين أن مجموعة أخرى من الناس ستنادي بعكس هذا الاتجاه وستطالب باعتماد الشكل الأدنى، أما البقية الباقية فإنها ستطالب بظهور مزيج بين الشكلين.

والظاهر أن حجة الفئة الأولى تستند في نقاشها للموضوع بوصف هذا الشكل اللغوي يمثل الماضي المجيد وهو في نظرهم مقوم رئيس من مقومات توحيد المجتمع والأمة ككل، فهم يرون أن الشكل اللغوي الأعلى أقدر وأكفأ في التعبير من الشكل اللغوي الأدنى (مجموعة اللهجات) بما يحمله من سمات الكمال والجمال، بيد أن الحقيقة التي يجب ألا نتغافل عنها هاهنا هي أن أي لغة لا يمكن أن تعجز في التعبير عن الأفكار إلا إذا كانت الحجة جمالية الشكل اللغوي.

(19) ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 117، 119.

أما أولئك الذين يطالبون باتخاذ الشكل اللغوي الأدنى لغة موحدة للمجتمع، فإنهم يرون أن هذا الشكل أقرب لألباب أفراد المجتمع وتفكيرهم ومشاعرهم، كما يرون أن استخدام الشكل الأدنى في التعليم خاصة يحمل فوائد جمة، منها كونه يمثل امتدادا طبيعيا لاكتساب اللغة الأم وتعلمها من قبل الأطفال، ثم إن الأطفال بالعادة هم أكثر استيعابا بلغتهم الأم أكثر من أي لغة أخرى، على أن التمكن التام والجيد من هاته اللغة سيساعدهم دون شك في مراحل تالية في تعلم لغة ثانية وثالثة.

بيد أن النتائج النهائية للازدواجية وهذا الصراع اللغوي والسير قدما باتجاه نمط لغوي موحد قد لا يأخذ بأي من الرأيين السالفين ويحافظ على الوضع اللغوي المجتمعي مزدوجا لمدة طويلة دون تغلب أحد الشكلين على الآخر، وهو الوضع الذي يعكس حقيقة الوضع اللغوي للمجتمعات العربية وغيرها كثير، على أن الوضع في كثير من البلاد يميل أكثر فأكثر إلى تبني النمط الأعلى (بتخطيط أو بغير تخطيط) بالنظر لزيادة عدد المتعلمين والأفراد القادرين على القراءة، وما دام الشكل اللغوي الأعلى هو الشكل المستخدم عادة في الكتابة والإدارة والإعلام فمن الطبيعي أن يمضي هذا الشكل إلى الأمام قدما.

على أن تفوق الشكل الأعلى للغة قد يحدث في حال قام أفراد مجتمع ما مزدوج اللغة بالاندماج مع أفراد مجتمع آخر، كما حدث لـ(كريول هايتي) التي يتم الاستغناء عنها ويستعاض عنها باللغة الفرنسية عادة في حالات الاندماج والإقامة بفرنسا، فاتخذوا من اللغة الأعلى عمدة لهم في قضاء جميع شؤونهم.

أما إذا كان المجتمع يقوم على مركز حضري موحد، كأثينا عاصمة اليونان بالنسبة للمجتمع اليوناني، فإن الشكل اللغوي الأدنى لهذا المركز عادة ما يتم دفعة إلى الأمام لمحاولة جعله الشكل اللغوي الأعلى، ويتم في هذه الحالة التخلي عن الشكل اللغوي الأعلى السابق، وتغدو الأشكال اللغوية الأخراة للمدن المجاورة أشكالا لغوية دنيا هي اليوم تبع للشكل المعياري الأعلى.[20]

ثالثا– نتائج الصراع اللغوي.

1– التوسع في مساحة استعمال اللغات مع زيادة عدد الناطقين بها وانتقال استعمالها إلى أماكن متعددة من العالم.

(20) ينظر: إبراهيم بن صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، ص 62، 64.

2- ارتقاء اللغات المسيطرة وتطورها، وذلك أن نتاجات الصراع اللغوي ستنعكس أيضا على اللغة المسيطرة كما سبق القول في شاكلة عدد من التغيرات التي يمكن أن تمس مختلف جوانبها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية أيضا.

3- من نتائج الصراع اللغوي تغيير مكانة الكثير من اللغات ذات الشأن المتدني ومنزلتها والارتقاء بها إلى مصاف اللغات الوطنية والرسمية والعكس بالعكس.

4- من النتائج الخطرة للصراع اللغوي أن تتداخل اللغات بعضها في البعض الآخر، من خلال التبادل المشترك لمختلف السمات والخصائص الصوتية والتركيبة والمعجمية (الاقتراض).

5- تغير النمط الكتابي للغات، ففي ظل سيطرة اللغات على مساحات جديدة من الأرض والناس ستفرض نمطا كتابيا جديدا على هاته اللغات كما حدث في كثير من الدول الأفريقية والآسيوية التي تخلت على نمط الكتابة العربية لصالح نمط الكتابة الأوروبية في ظل سيطرة هاته الدول عليها عسكريا وسياسيا.

6- موت اللغات وانقراضها، ذلك أن لغات كثيرة عبر العالم قد غدت أثرا بعيد عين عقب سيطرة لغات أخراة على أهلها، وانتقال هؤلاء إلى استعمال اللغات الغالبة.

7- ظهور الازدواجية والثنائية التعددية اللغوية، ففي خضم الصراع اللغوي قد يحدث أن تبقى الأمور اللغوية على حال من التوازن والاستقرار، وفي مثل هذه الحال قد يحل بالوطن الواحد أن يتعمد نظامين لغويين مختلفين أو متشابهين، وتسير الأمور على هذه الحال، ونمثل لذلك بحال الدول العربية التي تعتمد نظامين لغويين متقاطعين نظام راق في المعاملات الرسمية ونظام متدن في المعاملات الاجتماعية واليومية، بخلاف دول أخراة قد تبنت أكثر من نظام رسمي للدولة ككندا التي تبنت نظامين رسميين من اللغة الراقية، أو سويسرا التي تبنت أزيد من ثلاثة أنظمة لغوية راقية وهي تعيش في حالة التوازن والوئام اللغوي.

8-

الدكتور فتحي بحة المحاضرة التاسعة:

موت اللغات.

تمهيد:

كنا قد أقررنا في المبحث السالف حقيقة مفادها أن الذي يحدث بين اللغات هو ذاته الذي يحدث بين الكائنات الحية الأخراة، من احتكاك أو تزاوج أو صدام وصراع من أجل النفوذ والسيطرة والبقاء والحياة أو الموت أو الاندثار، فالصراع اللغوي إذن سنة اجتماعية كونية تكون نتائجها على اللغات واضحة، وقد أشرنا إلى أن غبلة اللغات وتفوقها لا يعني بحال من الأحوال بقائها على النمط نفسه والسمات والملامح ذاتها، بل إن كثيرا من ملامحها وخصائصها قد تتغير نتيجة للمعارك والصدامات وهذا أمر مألوف، ومن المفيد في هذا المقام أن نشير إلى أن نتائج الصراع اللغوي لا تخرج عن ثلاث نتائج لا غير وهي: التفوق والانتصار والانتشار وضمان البقاء والحياة، وخلافه الموت والفناء والاندثار والتلاشي، أو التعايش والوفاق مع بقية اللغات.

وفي هذا المبحث سنقصر كلامنا على ظاهرة موت اللغات واندثارها فما المقصود من ذلك؟ وكيف تموت اللغات وتندثر؟

أولا– ماهية موت اللغات.

سنستعير من "**دفيد كريستال**"(David Cristal) شرحه لماهية وحالة موت اللغات، إذ يرى أن هاته العبارة (موت اللغة) عبارة صارخة وقاطعة، وتحمل دلالات وأصداء غير مرغوب فيها تماما، فقولنا: إن لغة ما قد ماتت يماثل قولنا: إن شخصا قد مات، لأن اللغات لا وجود لها من دون البشر.

سؤال قد يحيرنا هل تموت اللغات فعلا؟ والجواب نعم تموت اللغات فعلا، فمتى تموت اللغات إذن؟ يجيب "**كريستال**": "تموت اللغة عندما لا يتحدثها أحد"[21]، وهذا أمر قد يصب تصوره بالنسبة للغات الحية لكنه قد يحدث فعلا في لغات أخراة.

(21) دفيد كريستال، موت اللغة، ص 23.

يقول الدكتور"**محمود السعران**":"توصف لغات بأنها "حية" وأخرى بأنها "ميتة"، والحق أن هذه الحياة وذاك الموت نسبيان يقاسان باستمرار استعمال هذه اللغات، أو بانقطاع دورانها على الألسن".[22]

إن أي لغة من لغات العالم هي في حقيقتها نظام معين من النظم الاجتماعية، وهي بهذا الوصف خاضعة لتطور مشروط بتطور الجماعة التي تتكلمها، وهي بهذا لا يمكن أن يقوم لها شأن أو وجود ويعلو لها صوت إلا إذا استعملتها جماعة من الجماعات، فحياة اللغات في استعمالها، ومن أشهر ما يساق في هذا الصدد لموت اللغات هي "اللغة اللاتينية"، بيد أن اللاتينية لم تمت في حقيقتها، بل إنها قد تعرضت لتغيرات جذرية وعميقة لتظهر في أشكال جديدة وحديثة أبرزها: البرتغالية، والقشتالية، ولغة كتلونيا، ولغة بروفانس، والفرنسية والايطالية ولغة رومانيا والإسبانية، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أنا نحس إذا نظرنا إلى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة تماما.

ومن اللغات التي توقف الناس على استعمالها "اللغة الغالية" والتي أخذت في الزوال شيئا فشيئا إلى أن حلت محلها اللغة اللاتينية، ومنها "**لغة كورنوال**" وهي لغة كلتية الأصل كان يتكلمها أهل الجزر البريطانية إلى أن حلت محلها اللغة الإنجليزية، ومن ذلك اللغة القبطية في مصر، واللغة الأمازيغية في بلاد المغرب، فقد حلت محل هاتين اللغتين اللغة العربية لغة الفاتحين.

ومن ذلك اللغة الهندوأوروبية العامة التي انبثق عنها لغات كثر، وكذا الشأن في اللغة السامية الأم، وفي الاسكندينافية العامة التي انبثقت عنها الأيسلندية، والفورية، والنرويجية والسويدية، والدنمركية، واللغة الجرمانية العامة ظهر منها: الألمانية، والانجليزية، والهولندية.[23]

ثانيا– كيف تموت اللغات.

تتكون اللغة في العادة من وجهة النظر العامة من النحو وعلامات الإعراب والتصريف والكلمات والأدوات، ففي اللغة مكونات أساسية ثلاث إذن هي: النحو والأصوات والمعجم، ويبدو أن المعجم دائما هو أكثر المكونات عرضة للتغيير، وهو تغيير يطال الدلالة والاقتراض بصورة خاصة، وبالعودة إلى تأصيل بعض الكلمات من اللغة

(22) محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 167.

(23) ينظر: محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 168، 169.

الفرنسية سيدرك حقيقة الأمر واضحة ومن ذلك مثلا أن: "Amiral" (أمير البحر)، و"Magasin"(المخزن) مأخوذان عن العربية، وأن "Tomate"(الطماطم)، و"Chocolat"(الشوكولاتة) مأخوذتان عن لغة الأزتيك بالمكسيك، وأن "Puma"(الأسد الأمريكي) مأخوذة من الكيشوا، وأن "Maïs"(الذرة) مأخوذة من بلاد الأنتيل، فجميع هذه الكلمات فرنسية بالتطبيع، وهي ليست أقل فرنسية من غيرها، وهاته سنة درجت عليها أغلب لغات العالم ولم يؤثر ذلك الاقتراض وتلك الكلمات المسافرة في مزاياها وخصائصها البنوية شيئا مذكورا.

بيد أنه على العكس مما كنا نقول، فحين ترى لغة من اللغات أن نظامها الصوتي يذوب في نظام لغة أخرى، وترى أن جملها قد أضحت صورة لجمل لغة أخرى، فإنها ستكون حينئذ في خطر الامتصاص والاضمحلال، فالأصوات والنحو هيكل البناء اللغوي، أمات المعجم فليس سوى الطلاء الخارجي.

إن ما يجعل لغة كـ"الكيشوا" البوليفية والمذكورة سلفا مهددة بالامتصاص لا يكمن في اقتراضها كما كبيرا من الكلمات الاسبانية، ولكن التهديد كامن في عدم تكييف هذه المقترضات في نظامها الصوتي الخاص من جانب، وفي ميلها لصياغة تراكيبها النحوية على غرار صياغة اللغة الغالبة من جانب آخر.[24]

ويرى الدكتور "**علي عبد الواحد وافي**" أن اللغات تقطع في سبيل وانقراضها مراحل كثيرة تمتاز كل مرحلة منها بمظهر خاص من الانحلال وضعف في المقاومة.

المرحلة الأولى: إذ تقذفها اللغة الغالبة بسيل جارف من المفردات الدخيلة فتوهن بذلك متنها الأصلي وتجردها من مقاومتها، ومع ذلك تبقى اللغة المغلوبة طوال هذه المدة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليبها في نطق الكلمات، فيؤلف أهلها عباراتهم ويصرفون مفرداتهم وفقا لقواعدهم التنظيمية والمورفولوجية، وينطقون بألفاظهم الأصيلة وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة طبقا لأسلوبهم الصوتي ومخارج حروفهم، حتى إنهم ليستبدلون في الكلمات الدخيلة بالحروف التي لا نظير لها عندهم حروفا قريبة منها في لغتهم.

المرحلة الثانية: تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها في نطق الكلمات، فينطق أهل اللغة المغلوبة كلماتهم الأصيلة وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة من المخارج نفسها وبالطريقة نفسها فيما هو في اللغة

(24) ينظر:لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسيات اللغوية، ص 211، 212.

الغالبة، فيزداد بذلك انحلال المغلوبة وتأذن بالأفول، لكنها تبقى مع ذلك محافظة على قواعدها الصرفية والنحوية التركيبية، فيؤلف أهلها جملهم وتراكيبهم ويصرفون كلماتهم على منوال القواعد المألوفة عندهم.

المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة تضعف المقاومة شيئا فشيئا، وتأخذ قواعد اللغة الغالبة في الاستيلاء على الألسنة حتى يتم لها الظفر، و بذلك يتم الإجهاز على اللغة المغلوبة.[25]

ويورد الدكتور "حسن ظاظا" وجهة نظر علماء اللغة الاجتماعيين في تطور اللغة وموتها في مراحل ثلاث:

1- أن تموت اللغة موتا طبيعيا من الكبر والضعف والتقدم في السن، ولابد أن يكون المتكلمون بها في هاته الحالة قد كثروا وتشعبوا وتباعدت مواطنهم وأقاموا لهم حضارات متباينة لا يتصل بعضها بالبعض الآخر، فتولد لدى كل منهم لهجة محلية منبثقة من اللغة القديمة، ومع مرور الأجيال تندثر اللغة الأم من ذاكرة أبنائها وتموت على ألسنتهم، ومثل ذلك كثير كالسامية الأم، والفارسية القديمة، والجعزية الحبشية، واللاتينية.

2- أن تموت اللغة قتيلة وذلك بفعل الغزو المسلح، وكيما يحدث هذا الأمر يجب أن تتضافر ظروف محددة هي:

- أن يكون عدد الغزاة أكثر بأضعاف من عدد السكان المحليين، فيكتسحون المكان وأهله.

- وفي حالة التساوي في العدد سيكون التفوق الحضاري معيارا للغلبة، فتغلب لغة اللغة المحلية في حال تفوق أهلها حضاريا، وتغلب لغة الغزاة فيما إذا كان أهلها أكثر تحضرا.

3- أن تموت اللغة بالتسمم، وذلك بأن يتسرب إليها من لغة الدخيل ما تحتاج إليه، فتحس في بداية الأمر بالانتعاش والنشاط الذي يشجعها على تقبل جرعات أكبر فأكبر، بيد أن قدرتها على التمثل تقل شيئا فشيئا فتخونها بنيتها العامة وتسقط من الإعياء، تاركة المجال للبقية الباقية من الدخيل تتسرب إليها دون مقاومة حتى تجهز عليها، ومثل هذا كثير من نحو موت السريانية ببلاد الشام.[26]

(25) ينظر:علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ، ص 235، 237.

(26) ينظر:حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم، دمشق، ط2، 1990، 117، 118، وينظر: هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، مكتبة لسان العرب، العراق، ط1، 1988، ص 127، 128.

أما "**دفيد كريستال**" فيتساءل قائلا لماذا تموت اللغات؟ بيد أن جواب هذا السؤال ليس أمرا يسيرا، إذ ليس هناك سبب واحد يمكن تحديده لتدهور عدد اللغات في العالم وتناقصها، إن القول: بأن انتشار اللغة الانجليزية حول العالم هي السبب في موت اللغة هو عزل لسبب واحد فحسب من عدة أسباب أخراة، بيد أن هاته الأسباب قد تكون خاصة وتحتاج لتعميم كيما تصبح قواعد عامة وثابتة نسبيا، ومن ذلك:

1- موت اللغة بموت آخر الناطقين بها كما حدث مع اللغة القوقازية الغربية "**أوبوه**" (Ubuh)، ولغة "كاسابي"(Kassabe) الكمرونية... وغيرهما كثير، وذلك ربما بسبب الحروب والكوارث الطبيعية كالزلازل والأعاصير والبراكين والآفات والأمراض...وهلم جرا.

2- الهجرات الجماعية نتيجة للحروب والمجاعات وسوء الظروف الاقتصادية...وغيرها مما يضطر المهاجرين أحيانا إلى التخلي عن لغاتهم والحلول في لغات المجتمعات الجديدة طوعا وكرها.

3- المواقف السياسية من بعض اللغات والمجتمعات قد تؤدي دورا لا يستهان به في القضاء على كثير من اللغات، مثلما حدث في كثير من جزر شرق آسيا وجنوبها، وكذا الأمر في بعض الدول الأفريقية.[27]

بيد أن موت اللغات لا يرتبط تماما بالموت الحقيقي والجسدي لأهلها، إذ يبقى أفراد المجتمع على قيد الحياة وبكامل سلامتهم ويعيشون في المكان ذاته، ومع كل هذا تموت لغتهم وتختفي تدريجيا لتحل محلها لغة أخرى، والمصطلح الأكثر استيعابا لهذا الموقف هو "الاستيعاب الثقافي"ن وهو أن تتأثر ثقافة بأخرى أكثر هيمنة فتبدأ الأولى بفقدان خصائصها نتيجة لتصرف الناطقين بها واكتسابهم لعادات وسلوكيات جديدة، ويحدث هذا عادة بطرائق كثيرة منها:

1- أن تصل إلى المجتمع أعداد كبيرة من الناس فتغمر المكان بسكانه الأصليين وفي صور كثيرة من الاستعمار، على نحو ما حدث في أستراليا وأمريكا الشمالية.

2- ومن الممكن أن تهيمن ثقافة ما على أخرى نتيجة التفوق العسكري أو لأسباب اقتصادية، كما حدث في كثير من دول أفريقيا خاصة.

---

(27) ينظر:دفيد كريستال، موت اللغة، ص 126، 131.

3- أما العامل الجغرافي فقد لا يكون حاسما في ظل العولمة الثقافية والاقتصادية، فمجالات التأثير قد غدت تتسع يوما بعد يوم فيما يسمى بثقافة المستهلك الغربي حتى غزت العالم كله، ذلك أن تعلم اللغة المهيمنة كالانجليزية أو الاسبانية أو الفرنسية في مناطق عديدة من العالم يمهد السبيل لمثل هاته الشاكلة من الهيمنة اللغوية، وفي ظل توسع وسائل الإعلام وسرعة انتشارها ستصل اللغات والثقافات إلى أقاصي البلاد.(28)

ويوجز "**كريستال**" مراحل تسلسل سيطرة اللغة الغالبة على اللغة المغلوبة في:(29)

- المرحلة الأولى:ضغط هائل على الناس ليتحدثوا اللغة المهيمنة، ضغط قد يكون مبعثه مصادر سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وربما يكون من الأعلى إلى الأدنى في شكل حوافز أو توصيات أو قوانين مقدمة من قبل الحكومة أو المؤسسات الوطنية، وقد يكون من الأدنى إلى الأعلى في شاكلة توجهات حديثة أو مجموعات ضغط من داخل المجمع، والنتيجة تظهر في شاكلة ثنائية لغوية اجتماعية.

- المرحلة الثانية:يتبنى الناس لغتهم الجديدة بكفاءة كما يحتفظون بلغتهم القديمة، وفي مراحل تالية تبدأ الثنائية في الاضمحلال لتحل اللغة الجديدة محل القديمة.

- المرحلة الثالثة:وهي أن يصبح الجيل الجديد ماهرا باللغة الجديدة متميزا بها، ويصاحب ذلك شعور بالخجل من استعمال اللغة القديمة ويتساوى في ذلك الآباء والأبناء.

ومن العناصر المهمة التي يمكن أن يكون لها أثر في موت اللغات وبقائها"**الموقف اللغوي**" ، إن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن اللغات سرعان ما تنهار وتتلاشى إذا ما صادفت مواقف سلبية من مستعمليها، سواء تعلق الأمر بالأسباب الاجتماعية كالشعور بالدونية والتحرج من استعمالها فتغدو اللغة حينها مصدرا لإطلاق النكت، أو إذا ما تعلق الأمر بالأسباب السياسية، لأن كثيرا من الحكومات غدت تنظر إلى الثنائية اللغوية أو التعدد اللغوي على أساس أنه تهديد لوحدة الأمة.(30)

أما "**لويس جان كالفي**" فيحدد لموت اللغات اتجاهات ثلاثة هي:

(28) ينظر:دفيد كريستال، موت اللغة، ص 132، 139.

(29) ينظر:المرجع نفسه، ص 139، 140.

(30) ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 143، 144.

1- الغياب بالتحول: يحدث هذا النوع في كل مرة يحدث فيها تطور لغوي، ويتمايز جغرافيا في أثناء توسع الشعب الذي يتحدثها، ليولد عائلة من اللغات كاملة (ميلاد اللهجات المحلية).

2- الغياب بالانقراض: وذلك عقب موت جميع المتكلمين بها دون أن يتركوا خلفا، ويكون هذا نتيجة للكوارث والآفات وغيرها.

3- الغياب بالاستبدال: يحدث في كل مرة تغيب فيها لغة تهيمن عليها لغة غالبة، كما حدث من نتيجة سيطرة اللاتينية على المناطق الرومانية، مما يعني غياب اللغات المحلية والأصلية وحلول اللاتينية مكانها.[31]

وقد يكون موت اللغة بطريقة اختيارية في ظل منافسة مع لغة قوية أخرى من شاكلتها، فالمنافسة بين اللغتين الألمانية والفرنسية أو بين الفرنسية والانجليزية مثلا قد لا تبدو لها آثار واضحة على المستوى اللغوي ، بيد أن أثارها قد تنحصر في المجالات الاقتصادية، والظاهر أن المدرسة هي الميدان الذي يهيأ فيه هذا الصراع، لكن الانتصار في هذا الصراع ينال في ميدان المعاملة، أي في صميم الحياة الحقيقية، ولذا نسمع بأن الألمانية قد طردت الفرنسية من هذه القرية، وأن الفرنسية قد طردت الألمانية من تلك القرية أو المدينة السويسرية وهكذا، والحق أن التخلص من هاته اللغة أو تلك وفي مجال من مجالات المعرفة ربما باستعمال لغة والتخلي عن لغة أخرى هو أمر اختياري طبعا، فسكان هذه القرى أو المدن كان في متناولهم أداتان متساويتان في المتانة والصلاحية، بيد أنهم اختاروا الأصلح منهما والأنسب لأعمالهم، فينشأ إذ ذاك ميل لنقل الحدود اللغوية بحسب الجهة التي ترد منها العلاقات الاقتصادية، فالمصلحة العملية هي وحدها الحكم في القضاء على عدد من اللغات وفي إحياء لغات أخرى.

ومن البواعث التي تدعو الحديث عن موت اللغات وحياتها البواعث الوطنية والسياسية والدينية، فكثير من الدول التي كانت مستعمرة فسعت جاهدة إلى التخلص من لغة المستعمر وإعادة بناء لغاتها القومية والوطنية،[32] حدث ذلك مثلا دول شمال أفريقيا (تونس، والجزائر، والمغرب) بالتخلص من اللغة الفرنسية وإحلال اللغة العربية محلها، كما حدث أيضا في (اندونيسيا) التي أحلت اللغة الماليزية محل اللغة الهولندية وغير ذلك كثير.

ثالثا– حماية اللغات من الانقراض.

(31) ينظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 204، 205.

(32) ينظر: فندريس، اللغة، تـ : عبد الحميد الدواخلي، ص 349، 350.

أورد "دفيد كريستال" عددا من الآليات يمكن أن تسهم بشكل ما في الحفاظ على اللغات من الاضمحلال والاندثار، بل التطور والارتقاء نوردها في الآتي:[33]

1- اللغات المهددة بالانقراض ستنمو إذا عزز المتحدثون بها هيبتهم داخل الجماعة المهيمنة.

2- اللغات المهددة بالانقراض ستنمو إذا زاد المتحدثون بها من ثرائهم مقارنة بالجماعة المهيمنة.

3- اللغات المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها تعزيز شرعيتهم أمام الجماعة المهيمنة.

4- اللغات المهددة بالانقراض ستنمو إذا امتلك المتحدثون بها حضورا قويا في النظام التعليمي.

5- اللغات المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها إيجاد نظام كتابي مناسب لها.

6- اللغات المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها الاستفادة من التقنيات الالكترونية.

أما الكاتب "**أكيرا ياماموتو**"(Akira Yamamoto) فيقر تسعة عوامل يمكن أن تساعد في تطوير اللغات الصغيرة وترقيتها وهي: [34]

1- وجود ثقافة لغة مهيمنة راغبة في التنوع اللغوي.

2- إحساس قوي بالهوية العرقية داخل المجتمع المهدد بالانقراض.

3- ترويج برامج تعليمية عن اللغة والثقافة المهددة بالانقراض.

4- وضع برامج مدرسية ثنائية الثقافة واللغة.

5- تدريب المتحدثين باللغة الأم ليصبحوا معلمين.

6- إشراك الجماعة اللغوية كاملة.

7- وضع مواد لغوية تكون سهلة الاستخدام.

---

(33) ينظر:دفيد كريستال، موت اللغة، ص 211، 231.

(34) ينظر:دفيد كريستال، موت اللغة، ص 231، 232.

8- تطوير الأدب المكتوب، التقليدي والحديث.

9- إيجاد البيئات التي يمكن أن تستخدم فيها اللغة وتقويتها.

أما "**لين لاندوير**"(Lynn Landweer) فتقدم ثمانية مؤشرات لإحياء عرقي لغوي للغة مهددة بالانقراض وهي: [35]

1- المدى الذي يمكن لها أن تقاوم فيه تأثير ثقافة لغة متحضرة ومهيمنة.

2- عدد المجالات التي تستخدم فيها.

3- التكرار، ورمز التحول، ونوعه.

4- وجود عدد ضخم من المتحدثين بها بطلاقة.

5- توزيع عدد المتحدثين عبر الشبكات الاجتماعية.

6- الاعتراف الداخلي والخارجي بالمجموعة على أنه مجتمع فريد.

7- مكانتها النسبية مقارنة باللغات حولها.

8- اتصالها بقاعدة اقتصادية مستقرة.

الأستاذ: د. فتحي بحة/ المحاضرة العاشرة: الأسواق اللغوية.

الأسواق اللغوية.

تمهيد:

(35) ينظر:دفيد كريستال، موت اللغة، ص 232.

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، هكذا وصفه علماء الاجتماع وعلماء اللغة، وهو بهذا الوصف محتاج للمجاورة والمحاورة مع غيره من بني جنسه، وهو كل مع الأحوال محتاج لاستعمال أداة ما في التواصل مع هؤلاء جميعا، وليس أيسر له في كل ذلك من استعمال اللغة أداة فاعلة في هذا التواصل، بيد أن هاته الأداة سرعان ما تفقد قيمتها وتوقعه في مشكلة الاختلاف والعجز بالنظر لاختلاف هذه الأداة بين شخص وآخر ومجتمع وآخر، مما يدفعه بالضرورة إلى تطويع هذه الأداة وتطبيعها للتوافق مع الموقف والشخص الجديدين، وكيما تتم عملية التواصل بفاعلية ويُنَالَ المطلوبُ وَتُبْلَغَ الغايةُ.

أولا– ماهية الأسواق اللغوية.

إن وجود ظاهرة التعدد اللغوي تطرح أمامها عدة إشكالات تتعلق بالتواصل خاصة، ففي نقطة ما من الأرض سيلتقي يوميا مئات الآلاف من البشر، وهم محتاجون للتواصل بينهم، بيد أنهم قد لا يتكلمون اللغة ذاتها، وتبدو مجالات التجارة أكثر الممارسات الاجتماعية عرضة لهذه المشكلة، فكيف يمكننا أن نبيع ونشتري ممن لا يتكلم لغتنا؟ بيد أن قدرات الإنسان في إيجاد وسيلة ملائمة للتواصل في كل مرة يجد فيها نفسه مضطرا لذلك غير محدودة تماما.

والحق أن المبادلات التجارية في الأزمان الغابرة كانت تتم دون استعمال للغة كما جاء عن "**موريس ديلافوس**"(Maurice Delafosse)، بيد أن الإنسان في مثل هذه الحالات كان دائما يجتهد في تذليل هاته الصعوبات اللغوية والتواصلية الاجتماعية بتوليد لغات خليط، أو باستخدام لغات ناشرة، في حين راح عدد آخر من المهتمين باللغة يبحث عن لغات مصطنعة "كالإسبرنتو".[36]

وإذا كان "**لويس جان كالفي**" قد حدد ماهية "**الأسواق اللغوية**" انطلاقا من الأسواق الحقيقة، فإننا في هذا المقام سنوسع هذا المفهوم وسنستعمله من قبيل الاستعمال الحقيقي ومن سبيل الاستعارة اللغوية ليشمل كل التجمعات البشرية التي يمكن أن يلتقي فيها أشخاص لا يتكلمون اللغات ذاتها، كالأسواق والمراكز التجارية والمطارات والموانئ والجامعات والاجتماعات في المنظمات الدولية...وهلم جرا من الحالات التي توسم بحالات التعدد والتداخل اللغوي.

ثانيا– حالات التعدد والتداخل اللغوي:

(36) ينظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات، ص 159، 160.

جاء في معنى التداخل:"داخلت الأشياء مداخلة، ودِخَالاً: دخل بعضها في بعض... وتداخلت الأشياء: داخلت، والأمور: التبست وتشابهت".[37]

والظاهر أن المعنى اللغوي لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي كثيرا، فالتعدد والتداخل عند بعضهم يسيران في خط واحد وهو:"مجموعة من اللغات مستعملة بدرجات متفاوتة، ومن ذلك ما حصل مثلا في بلاد المغرب العربي حين تعددت العوامل، كالفتح الإسلامي، والغزو الاسباني، والاستعمار الفرنسي، فتداخلت اللغات ببعضها، فأدى إلى تمازج اللغات فيما بينها وظهر التداخل اللغوي، وهو مصطلح حديث...ويعنون به مختلف أشكال الاحتكاكات اللغوية، أي كل أشكال المزج بين اللغات سواء على مستوى الألفاظ المفردة أو على مستوى التراكيب والأساليب".[38]

ويقوم التعدد اللغوي الاستراتيجي عادة على الاختيار العملي، فيمكن لدولة ذات لغة رسمية واحدة، استخدام لغتين أو أكثر بسبب الحاجات وضرورات التواصل، فضلا على الواقع والحاجات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، دون أن تتبنى إيثار لغة أو تمييزها عن الأخرى، وترى سياسة التعدد اللغوي أحيانا أن اللغة الأولى مكملة لبقية اللغات، وتعمل على نحو إيجابي في استغلال كل الموارد اللغوية للدولة، بيد أن تطبيق هذا الأمر لا يمكن أن يتم بيسر إلا في نطاق دولة متعددة اللغات تتشارك العلاقات فيها مجموعات كثيرة ومختلفة، أو في نطاق دولة تمارس من خلال حدودها التاريخية تعددا لغويا[39].

ويرى "واينريخ"(Weinerich) [40] وغيره أن الاتصال بين اللغات هو وضع مستحدث بالنظر لوجود لغتين أو أكثر في مجتمعين يرتبطان بوحدة واحدة، وأحد هذين المجتمعين يكون آتيا من خارج نطاق المجتمع الأول، وينشأ نتيجة لرغبة أفراد كلا المجتمعين في الاتصال، وقد ينتهي بغلبة إحدى اللغتين على الأخرى عندما يتم استخدام لغة واحدة فقط لجميع أغراض الاتصال، والمقصد هاهنا من كون الوضع مستحدثا، أي أنه لم يكن موجودا قبل قدوم المجتمع الثاني، أما عن درجة التأثر بين اللغتين فتختلف من التأثير الكبير الذي قد يمس الجوانب الصوتية والصرفية

---

(37) المعجم الوسيط، ص 275.

(38) عبد المجيد عيساني، اللغة بين المجتمع والمؤسسات التعليمية، ص 120، 121.

(39) ينظر: هدى الصيفي، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي، مذكرة ماجستير مخطوطة، جامعة قطر، إشراف: د. رشيد بوزيان، 2015/2001، ص 50، 51.

(40) ينظر: الفلاي، ازدواجية اللغة، ص ...

والنحوية للغتين، إلى التأثير الذي لا يتعدى اقتراض عدد من المفردات والمصطلحات، ويرى "واينريخ" أن أحد المجتمعين سيستغني عن مفردات لغته ويستخدم بدلا منها المفردات المقترضة مما يؤدي إلى التداخل.

والتعدد اللغوي هو سمة بارزة في كثير من بلدان العالم، وهي السمة التي كان لها الأثر البارز في حدوث التداخلات اللغوية، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات التي تدفع بهم عادة إلى تجاوز اللغة الأم لغة المنشأ والمحيط إلى استعمال اللغات الأخراة، والظاهر أن جميع مستويات اللغة سيتأثر بالتداخل اللغوي كما أسلفنا القول، بيد أن مستوى بعينه سيكون أكثر عرضة للتداخل هو المستوى المعجمي، فتضاف إليه وحدات أخرى ربما جاءت من الاختراعات الاكتشافات الحديثة التي لا بد أن يكون له مقابل في اللغة الأم، بيد أن الفرد المتكلم عندما يكون في موقف ما قد يجد نفسه مضطرا لإدخال كلمات من معجم اللغات الأجنبية التي يعرفها حتى وإن كان لها ما يقابلها في لغته الأولى التي يتقنها، ويجعل تلك الكلمات تساعده في تحقيق وظيفته التبليغية أفضل بكثير من تلك التي يمكن أن يستعملها من معجم اللغة التي يتكلم بها في تواصله اليومي.[41]

بيد أن التداخل اللغوي قد تخلقه طبيعة الاجتماع ذاته، فالمتكلم قد يجد نفسه مضطرا للعدول عن لغته والحلول في لغة الآخر من باب التقرب وتيسير عملية التواصل، وذلك باستعمال بعض المفردات التي تحمل معنى ودلالة مهمة عند الآخر، ويبدو ذلك جليا في لغة باعة الأسواق الذين يستعيرون من لغة الآخرين بعض الكلمات التي تستهدف إغراءهم والتأثير عليهم، أو في لغة الباعة المتجولين، وفي المتاجر والمحلات الكبرى، أو الاجتماعات والمهرجانات التي يحضرها أناس من لغات متعددة، وطبيعة الاجتماع هاته قد تفرض استعمال لغة عامة عالمية بغرض التوحيد اللغوي، كاستعمال اللغة الانجليزية واسطة عامة للتواصل بين الجميع، وقد تخلق طبيعة الاجتماع لغة خاصة إذا طالت مدة الاحتكاك كما يحدث في الموانئ والمطارات وأماكن تجمع الناس لفترات طويلة.

ثالثا– نماذج من الأسواق اللغوية.

يورد "لويس جان كالفي" نماذج للأسواق اللغوية من وجهة نظره وهي أسواق تجارية حقيقية تشهد تعددا وتداخلا لغويا رهيبا نحاول في العرض الآتي تقديم صورة مختصرة عنها:

1– سوق كانتون (الصين).

(41) ينظر: جميلة رجا، التداخل اللغوي مجلة اللغة الأم، ص 149، 150.

يصف"لويس جان كالفي" الحالة اللغوية للسوق الصيني من خلال تجربته الشخصية بأسواق كانتون والتي تتعايش فيها لغتان "الكانتونية" وهي لغة محلية ناشرة، ولغة "بيتونغ هوا" وهي لغة مشتركة تدرس في المدارس وتستخدم في وسائل الإعلام وهي اللغة الأولى في شمال الصين، بيد أنها في كانتون تعد لغة ثانية ينضاف إلى هاتين اللغتين بعض اللغات الشعبية الأخراة، ويصف كالفي حال التواصل في السوق الذي يؤمه الغربيون بأن أهل السوق لا يجيدون من اللغات الغربية شيئا إلا بعض الكلمات كـ"Hello" التي تستعمل للفت انتباه المشترين، والتواصل في الحقيقة لا يتم إلا عبر الإشارات ، حيث يأخذ السائح وريقة كرتونية كان قد سجل عليها مجموعة من الأرقام من 1 إلى 100 ويكفي البائع أن يشير إلى واحد من الأرقام المسجلة ليتم التواصل.

والظاهر أن جل الوافدين على السوق ممن يتكلمون اللغة الانجليزية وكلمة "Hello" وحدها كافية للفت انتباههم، بخلاف أسواق أخراة في مراكش ومصر والتي يؤمها زوار من مختلف بلدان العالم والتجار فيها يتقنون عددا من اللغات الأجنبية.

أما عن وريقة الكرتون التي ذكرت سلفا فهي تقيم تناسبا بين الحاجة للتواصل، والجواب الذي تقدمه الممارسة الاجتماعية للحاجة، والمضمون هاهنا يتعلق فقط بالثمن والشفرة المستخدمة كافية لتحقيق الغرض، أما بخصوص المساومات فتنوب عنها الإيماءات والإشارات.

إن النظام الذي وضعه تجار السوق الصيني يفسر اتجاهات التفكير في تفسير ولادة الشفرات استجابة لحاجات التواصل، فاللغات الخليط مثلا تخضع للنواميس ذاتها من الحاجات، ولكنها تشكل خيارا لغويا، فيما يشكل نظام السوق الصينية نظاما من الرموز الخطية والإشارات والإيماءات، ولا شك أن نظام التواصل في لغة الإشارات الصينية محدود جدا بخلاف نظام لغات الخليط الواسع النطاق والمجال.

وحتى للتعاملات المحلية الصينية فإن نسبة استعمال اللغة الكنتونية محددة في نطاق حاصر فحسب، فإذا ما تعلق الأمر بالتعامل مع زبائن من مناطق الشمال وباقي البلاد فإن لغة بيتونغ هوا هي الأداة الأمثل للتواصل لكونها لغة ناشرة وأكثر استعمالا.[42]

2- أسواق برازافيل(الكونغو).

(42) ينظر:لويس جان كالفي، حرب اللغات، ص 161، 166.

نموذج ثان من الأسواق اللغوية نوردها في هذا المبحث يتعلق الأمر بسوق برازافيل بالكونغو، حيث تحدد حركة الهجرة بين الريف والمدينة الوضع اللغوي لهذه البلاد، والحق أن سكان الكونغو حضريون بالدرجة الأولى، إذ يقطن 34 % منهم المدينتين الرئيستين برازافيل وبوانت نوار، وقد أدى ازدياد السكان إلى خليط لغوي في هاتين المدينتين، حيث هاجر إليها من بداية عدد من كبير أهالي منطقة "ستانلي بول" المجاورة، أما في السنوات الأخيرة فقد تحدد موطن الهجرة من منطقتين كبيرتين هما: هجرة أهل الشمال مع لغتهم الناشرة "**اللنغالية**"(Lingala)، وهجرة أهل الجنوب ولغتهم "**المونوكوتوبية**"(Munukutuba) وهي أيضا لغة ناشرة، ينضاف إليها " **اللغة اللارية**"، وهي لهجة علت منزلتها لتكون لغة العاصمة.

هاته هي الخارطة المصغرة والممثلة للغات الكونغو والسؤال الذي يراودنا طبعا في ظل هذه التعددية اللغوية وهذا الصراع اللغوي لمن ستكون الغلبة؟ وما هي اللغات التي ستفرض نفسها؟ وقد عمد كالفي بمعية تلامذته وبالاعتماد على مجوعة من الاستبيانات الموزعة أن يقدموا لنا صورة جيدة عن هذا الوضع اللغوي لهذه البلاد، وقد سمح العمل الميداني ببروز ثلاث لغات ناشرة تفرض نفسها بشكل جلي مع اختلاف بين حي وحي آخر، فالناس يتكلمون اللنغالية في أسواق شمال المدينة، و المونوكوتوبية واللارية في أسواق الجنوب، أما اللغة الرسمية للدولة وهي الفرنسية فتظهر خصوصا في الهضبة المسماة "خمسة عشر سنة"(Quinze ans) وقد سميت بذلك لان قدماء العسكريين كانوا يستقرون فيها بعد 15 سنة من الخدمة العسكرية ويبدو أنهم من المترفين بالنظر لرواتبهم وبيوتهم وهم لا يتكلمون اللغات الكنغولية لأن كثيرا منم من أصول غير كنغولية.

ويبدو أن الوضع اللغوي للبلاد قد فرض نمطا معينا على السكان في استخدام اللغات، فقد استقر وضع اللنغالية بين سكان الشمال بحكم الأصل الجغرافي، أما المونوكوتوبية فقد وجدت لها انتشارا أكثر في الجنوب على حساب اللارية.

أما اللغات الأم فغائبة تماما عن السوق والظاهر أن محلها يرتبط فقط بالأسرة والبيت بوظيفة حاصرة، وكذا الأمر للغة الفرنسية (اللغة الرسمية) التي تستخدم فقط في نطاق ضيق اجتماعيا ومحدد وظيفيا وعمليا.[43]

3- السوق الصغيرة في نيامي (النيجر)

(43) ينظر:لويس جان كالفي، حرب اللغات، ص 166، 171.

مدينة أخرى يعرفنا بها لويس كالفي اجتماعيا ولغويا هي مدينة نيامي النيجرية، قد أوضح الباحث التطور السكاني الذي مس المدينة، ويبدو أنه من غير المتصور أن تجد في المدينة وبين أحيائها الخمسة المشهورة حيا أحادي اللغة، فالمدينة تشهد انتشارا وخليطا عرقيا ولغويا رهيبا، أي أنه ليس هناك من مطابقة بين الأحياء والأعراق واللغات.

وفي دراسة ميدانية كالعادة استطاع كالفي أن يحدد من اللغات خمس عشرة لغة مختلفة مستعملة بين السكان، وقد هدف الاستقصاء إلى البحث عن أكثر اللغات استعمالا في الأسواق، وقد بينت نتائج الاستقصاء أن لغات من نحو: (البل، والكانورية، والكوتوكولية، والووبية، والغورمانتشية...وغيرها) تختفي في الإجابات لحساب لغتين تغلبان غلبة كبيرة هما (الهوسا والزوما)، ويمكن أن تضاف لهما (السوناي: وهي بديل لهجي).

إن الزوما هي محلية في نيامي وهي لغة قطيع وبهذا المعنى فهي لغة حاصرة، بيد أنها تقوم في الوقت نفسه بدور ناشر، أما الهوسا فلغة قادمة من مكان آخر وهي لغة واسعة الانتشار في نيجيريا ويزداد انتشارها في النيجر عن طريق التجار الأغنياء وهي تتمتع فيها بحظوة، وليس من المستغرب أن يحاول عدد من الناس إظهار كفاءتهم فيها من خلال ذكر عد المناسبات التي تستعمل فيها.[44]

4- الأسواق اللغوية العربية:

لم يعش العرب في جزيرتهم منعزلين بعضهم عن البعض الآخر، وإنما كانوا يلتقون في مواسم التجارة وفي الأسواق الأدبية التي يتبارى فيها الشعراء والأدباء ويقدمون نتاج قرائحهم، وقد أدت لقاءاتهم المتعددة، وسماع كل عربي للهجات إخوانه من المناطق الأخراة إلى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية، كما يستفيد من النواحي التجارية والثقافية، فكان لقاء القرشيين بغيرهم من العرب في الأسواق المشهورة "**كسوق عكاظ**" و"**سوق ذِي الْمَجَاز**" و"**سوق المِجَنَّة**" و"**سوق المربد**" وغيرها سببا في تهذيب لغتهم وتنقيتها وتصفيتها. [45]

وقد ذكرت روايات تاريخية كثيرة بأن "النابغة الذبياني" كان ينصب له خيمة يؤمها الشعراء ويحتكمون إليه فيقضي بينهم فيما اختلفوا فيه، فينصف هذا ويرد ذاك بذوقه النافذ وبصيرته وحسه الأدبي الراقي.

---

(44) ينظر: المرجع نفسه، ص 172، 177.

(45) ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص 83، وينظر: صفي الرحمان المباركفري، الرحيق المختوم، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ط1، 2002، ص 38 وينظر: عبد المجيد الطيب عمر: منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، السعودية، ط2، 1437 هـ، ص 66.

ونتيجة لما سبق فقد اتسع نفوذ القرشيين اللغوي ونمت لغتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخراة فأصبحت لغة عامة لكل العرب واستعملتها القبائل الأخراة في نتاجها الأدبي الرفيع، يقول الدكتور إبراهيم أنيس:"فبيئة مكة قد هيئت لها ظروف بعضها ديني وبعضها اقتصادي واجتماعي مما ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلعت إليه القبائل وشدت إليه الرحال قرونا قبل الإسلام وكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة ولكنها استمدت أيضا من الكثير من صفات اللهجات".[46]

وفي هذا يقول ابن فارس:"وكانت قريش . مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها . إذا أتت الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم(*) وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب".[47]

وقد درج أئمة الشعر العربي وفطاحله على قول الشعر بلسان قريش كيما يضمنوا لكلامهم سمعة وصيتا وانتشارا واسعا بين العرب، والملفت للانتباه أن جل شعراء العرب لم يكونوا من أهل مكة ومع ذلك فقد جاء شهرهم منسوجا بهاته اللغة الناشرة كما قال كالفي.

رابعا– السوق وإدارة التعدد اللغوي.

إذا كان التعدد اللغوي يشكل معضلة بالنسبة للمتخاطبين، فإنهم في كل الأحوال مضطرون للبحث عن سبيل لإدارة الخلاف اللغوي في علاقاتهم، وتمنحنا الأسواق بالعادة فرصة وأنموذجا رائعا لإدارة الخلاف اللغوي وترينا كيف يواصلون والسؤال هاهنا لِمَ تختار هاته اللغة عن تلك في إدارة التعدد اللغوي؟ والحق أن عوامل من نحو: أثر موازين القوى بين الجماعات البشرية التي تتكلم هاته اللغات في ترجيح كفة لغة البامبارا في باماكو، والثنائية اللغوية في نيامي، أو في كانتون، بيد أن هناك دوما حربا وصراعا بين هاته اللغات.

(46)عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص 85، 86.

(*) النحيزة الطبيعة (الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص 1588).

(47) أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص 28.

وإذا كان التجار بالعادة يفضلون أن يُدْفَعَ لهم ثمن البضاعة بالدولار أو اليورو على أن تدفع لهم بالعملة المحلية، فكذلك الأمر في اللغات إذ يحبذ المتخاطبون أن يتخاطبوا أو يخاطبوا بهذه اللغة ويرفضون تلك سواء كانت لغة حاصرة أو ناشرة، لأسباب تتعلق بالحظوة والمنزلة والموقف اللغوي،[48]

(48) ينظر:لويس جان كالفي، حرب اللغات، ص 177، 180، وينظر: رالف فاسولد، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ت: إبراهيم بن صالح الفلاي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط 2000، ص 259.